الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة المدية يحي فارس

❖ كلية : العلوم الإنسانية و الاجتماعية

❖ قسم : العلوم الإنسانية – شعبة التاريخ -

المجتمع الطرابلسي خلال القرنين 18 – 19 م
1711 م – 1911 م

مـذكـرة تخـرج لنيل شهـادة المـــاستر

تخصص : تـاريخ الدولة العثمانية

من اعداد الطلبة:

❖ يزة شيماء .

❖ حبيب سهام .

تحت اشراف الاستاذ(ة):

حمان غنية

2022/2021


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بدأنا بأكثر من يد و قاسينا أكثر من هم و عانينا الكثير من الصعوبات و ها نحن اليوم و الحمد لله نطوي سهر الليالي و تعب الأيام و خلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع .

- إلى منارة العلم و الامام المصطفى إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
- إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة " تـومـيـة سحيري " .
- إلى من سعى و شقى لأنعم بالراحة و الهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر إلى والدي العزيز " المـنـور يـزة " .
- إلى من حبهم يجري في عروقي إلى إخوتي و أخواني و إلى أبنائهم و بناتهم خاصة " أسيل و يقين و وفاء و أحمد و إكرام و كوثر و مريم و محمد و مصطفى و أمين " .
- الى من سرنا سويا و نحن نشق الطريق معا نحو النجاح و الإبداع إلى من تكاتفنا يدا بيد إلى صديقتي " حبيب سهام " .
- إلى من علمونا حروفا من ذهب و كلمات من درر إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا و من فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم و النجاح إلى أساتذتنا الكرام .
- إلى الشخص الأهم إلى أفضل أشيائي و قمري بين النجوم إلى شريك حياتي زوجي المستقبلي .

يـزة شـيـمـاء



الإهداء

اشكر الله رب العالمين لتوفيقي في إتمام الدراسة لنيل شهادة الماستر وادعوا الله أن تكون شهادتي خدمة للإسلام والإنسانية

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء ومن دفعني لطريق النجاح . "والدي العزيز "محمد

الى الينبوع الذي لايمل من العطاء الى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها والدتي الكريمة "فاطمة مبارك"

الى أروع من جسد الحب بكل معانيه فكان لي السند و العطاء و الامل الى زوجي العزيز " صابور علي " .

الى من حبهم يجري في عروقي اخوتي " ابراهيم ، عبدالنور ،اكرام " " ايمان، مليكة " .

الى من ضل يدعوا لي بالنجاح صغير العائلة "اسماعيل حبيب"

الى من شققنا طريقنا سويا نحو النجاح والابداع الى من تكاتفنا سويا لقطف زهرة تعلمنا " يزة شيماء " .

الى صديقاتي "بن صالح نسيمة ،بن بخيتة سهام " .

الى كل العائلة الكريمة التي ساندتني وكل من كان له اثر في حياتي

الى كل من احبهم قلبي ونسيهم قلمي

الى كل من قدم لي العون والمساعدة لإتمام هذه المذكرة

.الى كل اساتذة قسم العلوم الإنسانية

حبيب سهام

كلمة شكر و تقدير

" الحمد لله الذي هدانا إلى هذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

" سورة الأعراف "

نشكره على نعمته و الصلاة و السلام على رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم معلم الإنسانية كلها أجمعين إلى يوم الدين لقد أمرنا الله سبحانه و تعالى أن نقدم الشكر لمن أجرى الله النعمة على أيديهم لخدمة الإسلام و المسلمين .

أتوجه بالشكر لله سيحانه و تعالى الذي ارتضى أن يكون شكر الناس شكرا له و نحمده على إلهامنا العزم و الإرادة و ألبسنا هندام المثابرة لإتمام هذا الإنجاز و نسأله أن يحسبه في ميزان حسناتنا .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة " حمان غنية " و الأستاذ " بلخوص دراجي " اللذان ساعدانا كثيرا لإتمام هذا العمل و قدما لنا التوجيهات المنهجية حتى يرقى العمل إلى المستوى المطلوب .

كما نتوجه بشكر خاص إلى أساتذة قسم التاريخ الذين ساعدونا لتخدي الصعوبات التي واجهتنا

ة إلى كل عمال المكتبات اللذين مدوا لنا يد العون و المساعدة .

و أخيرا شكرا لكل من أعاننا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث .

ط :الطبعة

ص :صفحة

د ت :دون تاريخ

د ط :دون طبعة

المقدمة

تعرضت طرابلس الغرب للحملات الاسبانية وسيطرة الفرسان عليها فمارسوا سياسة العنف والاضطهاد عليها ، فاستنجد أهاليها بالقوى الناهضة ذلك الوقت وهي الدولة العثمانية ، فلبت الدعوة بإرسال حملات الأولى بقيادة مراد أغا والثانية بقيادة سنان باشا 1551 ونجحت في ذلك .

تميزت المرحلة الأولى (1551 -1711 م) بالفوضى وسوء الحكم بسبب قيام الثورات ، فاستغل احمد القرمنلي ذلك لبسط حكمه على طرابلس الغرب ونجح بالفعل في ذلك

الأسرة القرمانلية (1711-1835 م) كان حكمهم وراثيا ، شهدت الولاية إفلاس أواخر حكم يوسف باشا وإسراف كبير فبدا التدخل الأوروبي في شؤونها الداخلية وهذا سبب ضعف الأسرة القرمانلية ، فبادرت الدولة العثمانية بالمساعدة خوفا من الدول الأوروبية ، فأنهت حكم الأسرة القرمانلية وبدا حكم الدولة العثمانية للمرة الثانية (1835 - 1911م) .

كانت دراستنا حول مجتمع طرابلس الغرب خلال القرنين 18 -19 م ،وهاذا لأهمية المنطقة وما مرت به من مراحل قوة وضعف وكيف برز مكانها بين الدول العربية والاوروبية .

أسباب اختيار الموضوع :

- ان اختياري لهذا الموضوع " مجتمع طرابلس الغرب خلال القرنين 18 - 19 م " لم يكن صدفة وانما باقتراح من " الاستاذة حمصي لطيفة " التي اختارت موضوع تحت عنوان " المجتمع الطرابلسي من خلال كتاب التذكار لابن غلبون " إلا أننا لم نجد المصادر و المراجع الكافية التي تتحدث عن هذه الفترة باعتبار هذا الموضوع موضوع أرشيفي .
- تحتاج طرابلس الغرب المزيد من الدراسات والبحوث خاصة في المجال الاجتماعي .
- ابراز اهمية طرابلس الغرب ، وعلاقتها مع الدول الافريقية والاوروبية .
- قلة المعلومات حول طرابلس الغرب رغم دورها الفعال ، بالرغم ما شهدته من صراعات .

اهمية الموضوع :

تكمن اهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على طرابلس الغرب و مكانتها والدور الذي لعبته بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فجعلها من اهم الحواضر الاسلامية .

نظرا لأهمية طرابلس الغرب في اطار تاريخ المغرب العربي ،اردنا ابراز مكانتها ودورها الفعال بين الدول العربية والدول الاوروبية ،ودورها بربط الدول العربية والاوروبية والشمال الافريقي بجنوبه ، وهذا من خلال دراسة موسومة بعنوان : " مجتمع طرابلس الغرب خلال القرنين 18 - 19 م " .

اشكالية الموضوع

من خلال موضوع الدراسة حاولنا أن نبرز مجموعة من الأوضاع بطرابلس الغرب التي مرت بها خلال القرنين 18 و 19 م ، أي في فترة حكم الأسرة القرمانلية و في فترة الحكم العثماني الثاني ، و هذا ما جعلنا نطرح إشكالية الموضوع كالتالي :

- ماهي الأوضاع التي عرفها المجتمع الطرابلسي في القرنين َ18 و 19 م ، و كيف ساهم الولاة العثمانيون في ذلك ؟

تتفرع هذه الإشكالية إلى إشكاليات جزئية يمكن طرحها في جملة من التساؤلات :

- فيما تمثلت الأوضاع الاجتماعية و الصحية في طرابلس الغرب في القرنين 18 و 19 م ؟

- كيف ساهمت الأسواق و المبادلات التجارية و حركة القوافل في إنعاش اقتصاد البلاد و تحقيق الرفاهية التي كان يعيشها البعض داخل المجتمع ؟

- و في ما تمثلت حياتهم الثقافية و الدينية إلى جانب حياتهم العمرانية ؟

عالجنا موضوع الدراسة في ثلاثة مباحث :

مقدمة : تعريف بالموضوع ، اهمية الموضوع ، اسباب اختياره ، الاشكالية ،الدراسات السابقة ، المناهج التي اتبعناها واخيرا الصعوبات التي اعترضتنا .

الفصل التمهيدي : اصل التسمية ، لمحة جغرافية وتاريخية عن منطقة طرابلس الغرب .

بالنسبة إلى المبحث الأول قد عنوناه : الوضع الاجتماعي في طرابلس الغرب و تحدثنا في هذا المبحث عن تركيبة المجتمع و عناصره ، و الطبقات الاجتماعية السائدة آنذاك . كما تطرقنا إلى الأسرة و مكوناتها و نمط معيشتهم مع ذكر عاداتهم و تقاليدهم و طريقة احتفالاتهم . و في الطلب الثالث تطرقنا إلى الأحوال الصحية للمجتمع مع ذكر الأمراض السائدة في تلك الفترة و الإجراءات الصحية التي نفذها العثمانيون في ليبيا عموما و في طرابلس الغرب خصوصا .

أما الفصل الثاني فقد كان عنوانه : الوضع الاقتصادي في طرابلس الغرب خصصنا به ثلاث مطالب المطلب الاول حول التجارة بعنوان القوافل والمراكز التجارية ، المطلب الثاني حول الزراعة ملكية الاراضي والنظم الزراعية والمنتوجات الزراعية ، اما المطلب الثالث حول الصناعة وانواعها .

أما الفصل الثالث الذي اندرج تحت عنوان : الجانب الثقافي و العمراني للمجتمع الطرابلسي ، حيث تناولنا في هذا المبحث الجانب الديني و اللغوي تحدثنا فيه عن الطرق الصوفية ، و المساجد و الزوايا ، الكتاتيب التي كانت وجهة الأهالي في تلك الفترة ، و في المطلب الثاني تحدثنا عن التعليمية و أنواعها ، و تطرقنا إلى أشهر المؤرخين و الشعراء الذين برزوا في تلك الفترة ، أما المطلب الثالث تحدثنا فيه عن العمران و إبداعاتهم في ترك لمساتهم الخاصة بهم في مساجدهم و منازلهم ... إلخ .

و أنهينا الموضوع بخاتمة استنتاجية و دعمنا الدراسة بملاحق توضيحية و ببليوغرافيا .

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي حيث يجمع ما بين عرض الأحداث و تحليلها ثم استنتاج بعض الأفكار .

الدراسات السابقة :

من بين الدراسات السابقة التي صادفتنا رسالة دكتوراه وهي :

1 _ابو القاسم السنوسي قنه محمد ، نواحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1911، مذكرة دكتوراه ، كلية الاداب، قسم التاريخ السودان ، 2017م .

اعتمدنا على مجموعة من المصادر اهمها :

محمد ابن خليل غلبون ، التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الاخيار ،واحمد النائب الانصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ،فرانشسكو كورو ، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ، شارل فيرو الحوليات الليبية .

هذه الكتب من اهم المصادر لانهم عايشوا الحقبة التاريخية المدروسة .

واعتمدنا على مراجع اهمها :

محمود ناجي ، تاريخ طرابلس ،الدكتور الشيخ رافت الغنيمي ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة مصطفى عبدالله بعيو ، دراسات من التاريخ اللوبي ، الحجاجي سالم علي ، ليبيا الجديدة .

صعوبات البحث :

- صعوبة الحصول على المادة العلمية .
- التجأنا الى المكتبة الالكترونية بدلا من المكتبات المركزية لعدم توفر المصادر المتخصصة .
- صعوبة تحميل سجلات المحكمة الشرعية التي تشكل اهمية في مصادر تاريخ ليبيا .
- صعوبة التقيد بعدد الصفحات .
- عدم وجود دراسات مفصلة حول الموضوع .
- موضوع شامل و الوقت ضيق .

المبحث التمهيدي

لمحة عن جغرافية المنطقة :

تقع ولاية طرابلس الغرب في إفريقيا الشمالية ، محاطة شمالا بالبحر الأبيض المتوسط و غربا بإيالة تونس ، و شرقا بإيالة مصر و جنوبا بالصحراء الكبرى ، و الإقليم حسب موقعه الجغرافي يقع بين (رأس أجدير) الذي يقع على الحدود التونسية و بين خليج السلوم المتواجد في الشرق . و إذا اعتبرنا حسب الاصطلاح الجغرافي مدينة غرينيج مبدأ للحدود تكون محصورة بين 110،33 و 35،22 من خط العرض الشمالي و بين 28،8 و 13،40 ، 25 من الطول الشرقي ، أي أن هذه القطعة _ بوضوح و تعريف عام _ تنتهي برأس الجدير و خليج السلوم و جبال توممو ، و مع ذلك فأن تعريف و إيضاح كيفية هذه الإحاطة أكثر تفصيلا لا يخلو من الفائدة ، إذ أن الولاية من أجل التوجه اعتبار من رأس أجدير إلى صحراء الجزائر تدور ناحية الجنوب في شكل نصف دائرة و بعد إتباع مجرى وادي المقطع يمر من سميدا فيحدث نتوءا في الجنوب الغربي من بئر تونين و من هنا تنحني الحدود صوب الجنوب بدرجة محسوسة فتمر من فربي غدامس و تمشي سريعا مع الطريق الجنوبية إلى غات و تتصل بسلسلة جبال توممو الكائنة جنوبيها ، أما الحدود الشرقية للولاية فتبدأ من خليج السلوم فتمشي مع الخط الذي يشكل الجهة الشرقية من واحة الجغبوب ، و بعد أن تجتاز أولا قضاء أوجله وجالو الكائن جنوبيه و الصحراء المديدة المسكونة بالأهالي الرحل تتم عقدة الالتصاق و الارتباط بسلسلة جبال توممو [1] .

[1] محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة عبد السلام ادهم ومحمود الاوسطى ، الجامعة الليبية ، بنغازي ، 1970 ، ط 1 ، ص 13 ، 14 .

لمحة تاريخية عن طرابلس الغرب :

أ / أصل التسمية :

يرجع المؤرخون العرب تسمية ليبيا إلى اسم لوبيا نسبة إلى لوبي بن نوح عليه السلام [1] ،

و قد استخدم الإغريق لفظ ليبيون لأول مرة .

أما بالنسبة لاسم طرابلس فهو مشتق من الكلمة اليونانية **threpolis** و تعني المدن الثلاث و هي لبدة العظمى و صبراتة و أويا في القسم الغربي من ليبيا ، و استخدمت كلمة طرابلس عند العرب منذ الفتح الإسلامي ، و في العصر العثماني أضيف إلى اسم طرابلس كلمة الغرب فأصبحت تعرف بطرابلس الغرب تميزا لها عن طرابلس الشام [2] ، حيث عرفت طرابلس القريبة بهذا الاسم **Tripolitain** لأول مرة في القرن الثالث بعد الميلاد .

و بعد استقلال ليبيا و قيامها كدولة حديثة في 24 – 12 – 1951 م ، أبقت على اسم ليبيا اسما لدولتها ، لكن هذا الاسم لاقى اعتراضا من طرف الطرابلسيين حيث اقترحوا اسم طرابلس اسما لدولتهم فتصبح " الدولة الطرابلسي " بدلا من تسمية " الدولة الليبية " لأن كلمة ليبيا كلمة دخيلة على العربية أحياها الطليان لأغراض استعمارية ، و أن كلمة طرابلس هي الكلمة التي استعملها العرب منذ الفتح الإسلامي ، ألا أنه في الأخير أبقت على اسم ليبيا كاسم لدولتهم [3] .

[1] محمود شاكر، ليبية ،ط 1،دار لبنان للطباعة والنشر،بيروت، 1972 ، ص 11 .

[2] صالح احمد البهنسي ، طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري و الفني ، ط 1 ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، 2004 ، ص 7 .

[3] أحمد الطاهر الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المدار الإسلامي ، ط 4 ، بيروت – لبنان ، 2004 ، ص 17 – 18 .

ب / التطور التاريخي لطرابلس الغرب :

استولى اليونانيون على القسم الشرقي من الولاية خلف القرطاجيون اليونان وفي معركة زاما التي انتهت بهزيمة القرطاجيين انتقلت طرابلس الغرب ليد الرومان وسميت بالإيالة الافريقية بعدها دخلت طرابلس تحت الحكم البيزنطي وفي 20 هـ استولت الجيوش الاسلامية على بنغازي وطرابلس وفزان بأمر من عمرو بن العاص ، وقضي على الحكم البيزنطي [1] . خضعت طرابلس للحفصيين خلال القرنين 13 - 14 هـ ، وسنة 1510 م هاجم الاسبان طرابلس الغرب واستولوا عليها ثم سلمتها الى فرسان القديس يوحنا سنة 237هـ - 1535م ،فطلبوا العون من الدولة العثمانية [2] .

امتد حكم الدولة العثمانية لطرابلس من 1551 - 1711م (الفترة الاولى) تميز بسياسة الم حافظة ولم يحدث أي تغيير سياسي [3] ، وفي اواخر الحكم العثماني للفترة الاولى ضعفت وانهارت تنظيماتها العسكرية والادارية [4] ، انقلبت الموازين واستفاد احمد القرمانلي (1711 - 1835م) من الحكم والسيطرة على طرابلس واستمر هذا الحكم 34 سنة [5].

تميز هذا العهد بالاهتمام بأسباب القوة التي لم تكن في العهد التركي الاول ، كما ازدهرت بحرية طرابلس و امتلأت خزائن الدولة بالأموال ، ثم بدأت مظاهر التفاخر فاختل التوازن وبدأت الدولة بالاستدانة وبدأت الثورات الداخلية [6] .

سنة 1835 م تمكن الاتراك من السيطرة على طرابلس مرة ثانية تولى الحكم خلالها 33 واليا واستمر حكم الدولة العثمانية 70 عاما (1835-1911م) ، رفض الاهالي ذلك رغم المحاولات العثمانية بان تظهر للشعب انها ليست استعمار ، وفي 29 سبتمبر 1911 اعلنت ايطاليا الحرب على ليبيا وباشرت باحتلالها عسكريا [7] .

---

[1] اتوري روسي ، ،ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 م ، ط2 ، الدار العربية للكتاب ، الاسكندرية ، 1991 م ، ص 30-40 .

[2] د الشيخ رافت غنيمي ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، مطبعة دار الحقيقة ، بنغازي ، 1972م ، ص 12 .

[3] نفس المرجع ، ص 33 .

[4] ايتوري روسي ،ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 م ، ط2 ، الدار العربية للكتاب ، الاسكندرية ، 1991 م ، ص274 .

[5] د الشيخ رافت غنيمي ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، مطبعة دار الحقيقة ، بنغازي ، 1972 م ص 38 .

[6] ابن غلبون ، التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخيار ، ت.ت الداهر أحمد الزاوي ، دار المدار الإسلامي ، ليبيا ، ط 1 ، 2004 ، ص 130

[7] فرانشسكو كورو ، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ،ص16 .

المبحث الأول :
الوضع الاجتماعي في طرابلس الغرب

المطلب الأول : التركيب الاجتماعي في المجتمع

المطلب الثاني : الأسرة في طرابلس الغرب

المطلب الثالث : الأحوال الصحية في المجتمع

المطلب الأول : التركيب الاجتماعي

تشكل الأسرة النواة الأولى للمجتمع ، و هي جديرة بالدرس الدقيق ، و ما يتصل بهذا الجانب في التاريخ الاجتماعي ، كتركيبة المجتمع الطرابلسي و عناصره ، فقد كان سكان طرابلس الغرب مزيج من السلالات المختلفة ، أهمها السكان الأصليون المعروفون في التاريخ باسم " الليبيين " أو " البربر " و العرب [1] ، و الطبقات الاجتماعية في المجتمع . و أيضا دراسة التاريخ الاجتماعي كعقود الزواج ، قوائم المهور و قضايا الطلاق ، و التعرف على عاداتهم و تقاليدهم و أعرافهم الشعبية [2] .

لمعرفة الوضع الاجتماعي الذي كان سائدا في نهاية القرن السابع عشر ، لابد من تقسيمه الى الموضوعات التالية :

- السكان : العائلات .
- الطبقات الاجتماعية : تجار ، حرفيون ، الأغنياء و الفقراء .
- المرأة .
- أهل الذمة .

1 – السكان :

إن البحث عن أصول سكان مدينة طرابلس ، ضمن المعطيات التي نستند إليها ليس بالأمر السهل ، و كذلك لن يكون سهلا التوصل الى رقم دقيق بشأن أعدادهم في نهاية القرن السابع عشر . فلقد قدم رقم ثمانين ألف و هو أعلى ما قدم بالنسبة لبداية القرن الثامن عشر . و هو رقم مبالغ فيه الى حد كبير ، أما الأرقام التب يمكن قبولها فتدور حول عشرين أو ثلاثين .

أما أصول السكان فليس أمامنا سوى الانطلاق من مجموعة من المقدمات الضرورية ، فهناك جزء من سكان طرابلس على الأقل كان يمد جذوره في الحقبة المملوكية ، خصوصا أن انتقل السلطة من المماليك إلى العثمانيين عام 1516 لم ترافقه انقلابات خطيرة أو تحولات كبرى ، فقد كان انتقالا حادثا إلى حد بعيد . وليس هناك ما يعارض مثل هذا الاعتقاد [3] .

---

[1] نسبة إلى مؤسسه عبد الله بن إباض .

[2] عمار ، جحيدر ، افاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث ، الدار العربية للكتاب ، 1991 ، ص 252 .

[3] نهدى صبحى الحمصى ، تاريخ طرابلس « من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي »، دار الايمان ، طرابلس – لبنان، ط 1 ، ص 116 .

لكن هذا الجزء المنتقل من عصر المماليك الى عصر العثمانيين قد تغذى بأجزاء أخرى على امتداد القرن السادس عشر و القرن السابع عشر وصولا الى نهايته منها من أتى عن طريق العسكرية و منها من أتى عن طريق تنقل إقليمي للتجار و رجال الطرق الصوفية و منها من أتى عن طريق النزوح من المناطق المجاورة .

و هناك العديد من الوثائق التي تؤيد ، و حتى نهاية القرن السابع عشر كانت الوثائق لا تزال تذكر أسماء بعض الأشخاص و تعرفهم باسم وظائفهم أو رتبهم العسكرية [1] .

و كما ينسب الشخص الى رتبة أو مهنة فقد ينسب الى وظيفة دينية ، كالخطيب و الإمام و المؤذن ، و من المؤكد أن بعض هذه الألقاب قد أصبحت أسماء عائلات استمرت حتى وقتنا الحاضر ، و أحيانا ينسب الى الأماكن التي أتى منها [2] .

و بلغ عدد سكان ليبيا ما يقارب 1.5 مليون نسمة ، و هي تتوزع على الشكل التالي [3] :

الولاية	المساحة	عددالسكان	الكثافة
طرابلس	٣٥٣,٠٠٠	١٠٠٠,٠٠٠	٣
برقة	٨٥٥,٣٧٠	٠,٤١٠,٠٠٠	٠, ٥
فزان	٥٥١,١٧٠	٠,٠٩٤,٠٠٠	٠,١٨

نلاحظ أن ولاية طرابلس أصغر الولايات مساحة ، لكنها أكثرها سكانا ، و قد تستطيع استيعاب المزيد من السكان لو استغلت أراضيها الصالحة للزراعة استغلالا فعالا ، و اتبعت أساليب الزراعة الحديثة على طول ساحلها الخصب .

و السكان يمكن تقسيمهم الى زمرتين :

- المستقرين و الرحل :

أ _ المستقرين : تشمل فئة المستقرين أعضاء الأسر التي لها أماكن إقامة ثابتة خلال القسم الأكبر من السنة ، و الذين لا يغادرونها إلا عرضا أو خلال مواسم الزراعة ، و جمع المحاصيل أو الرعي ، و يدخل سكان المدن ضمن هذا القسم إضافة إلى سكان الواحات و عناصر أخرى من السكان .

[1] نهدى صبحى الحمصى ، مرجع سابق ، ص 117 .

[2] نفس المرجع ، ص 118 .

[3] محمود ، شاكر ، ليبية ، الدار العلمية ، ط 1 (1392 هـ - 1972 م) ، ص 59 .

ب _ الرحل : يمكن تصنيفهم في فئتين : شبه رحل و رحل ، فشبه الرحل هم أعضاء الأسر التي تنتقل ضمن المناطق الإدارية التي تتبعها قبائلهم أو عشائرهم انتجاعا للكلأ خلال الشتاء و الربيع [1] ، و هم في نفس الوقت يملكون أراضي بعلية للزراعة ، و هم لا يغادرون حدودهم الإدارية إلا في سني الجفاف و القحط الشديدين حين يجبرون على النزوح خارج هذه الحدود بحثا عن مراع ملائمة لمواشيهم .

أما الرحل فهم الذين يحيون حياة بداوية صرفة ، ولا يتعاطون حرفة خلاف تربية الماشية و الإبل . و هكذا ينتقلون على شكل جماعات صغيرة الى مناطق بعيدة حيث يجدون ماء المطر ، و المرعى ، حتى و لو كانت هذه المناطق نائية جدا عن المناطق التي يتبعونها عادة ، و قد يمكثون في تلك المناطق النائية لفترة طويلة قد تمتد أحيانا لعدد من السنين قبل أن يعودوا الى أماكن لإقامتهم الأصلية .

و رغم أم الصحراء تشمل مناطق واسعة من البلاد إلا أن عدد الرحل فيها قليل .

و لتبيين ذلك ما يلي [2] :

الولاية	المستقرون	شبه الرحل	الرحل
طرابلس	٨٠	١٣	٧
برقة	٥٥	٣٣	١٢
فزان	٩١	٦	٣

يشكل سكان ولاية طرابلس 2/3 من سكان البلاد العامة ، اما السكان المستقرون يشكلون 4/5 ، و بذلك فإن الاستقرار هو نمط المعيشة السائدة في ولايات ليبيا و خاصة في ولاية طرابلس .

و يمكن إجمال عناصر السكان في العصر الحديث في الفئات التالية : السكان القدماء و العرب الفاتحين ، و الوافدين من أواسط القارة الافريقية ، اليهود ، الاتراك و المماليك (الأعلاج) ، و الحاليات الأجنبية . و قد كان لهذه العناصر الوافدة اثارها الاجتماعية الواضحة في السكان ، و لا زلنا نلمس حتى اليوم أثر الوجود العثماني الذي تعد فئة الكراغلة [3] .

[1] محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص 60 .

[2] نفس المصدر، ص 61 .

[3] الكراغلة من الكلمة التركية (قول أوغلي) و تعني : ابن العبد ، على اعتبار أن أباءهم من الانكشارية عبيد للسلطان ، و هم المولدون من اباء اتراك و أمهات ليبيات ، أو جوار اوروبيات .

و أهم العناصر التي يتكون منها السكان طرابلس الغرب هي :

1. العرب : و هم الأكثرية العظمى ، و قد دخل العنصر العربي الى البلاد على دفعتين .

أ _ أثناء الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي يوم تم فتح البلاد على يد عمرو بن العاص حيث استقر عدد من العرب في المنطقة .

ب _ أثناء انتقال قبائل بني هلال في عام 441 هـ (1049) الى شمال افريقيا ، و لحق بهم بعد أعوام قليلة بني سُليم [1] في القرن الحادي عشر حيث استقر عدد من بطون هاتين القبيلتين في المنطقة .

" في هذه الفترة يقول ابن خلدون : جاء العرب للبلاد بالدمار ، نهبوا الأموال ، دمروا المباني ، و خربوا الأعمال الفنية ، و احالوا المباني الأكثر اشعاعا الى خرائب لا طرافة فيها و لا قيمة ، واستولوا على جميع ما أودعته أسرة بلوكين بني زيري في القصور ، و اعتدوا على النساء الباقيات و احالوهن رقيقا " [2] .

و يقل العرب في الغرب بينما يكثرون في برقة ، و تتخذ بعض القبائل العربية الارتحال من مكان الى اخر وراء الكلأ و الماء .

2. البربر : و قد كانوا في البلاد قبل الفتح الإسلامي ، و ينتشر البربر في ولاية طرابلس ، ولا يزيد عددهم في ليبية عن 190 ألف نسمة . و معظمهم يتبع المذهب الأباضي ، و يعيشون

مستقرين في المدن و الواحات و لا يتنقلون مطلقا ، كما ان لهم لغة خاصة يتكلمونها فيما بينهم ، إضافة الى اللغة العربية التي يجيدونها [3] .

و من مجموع العائلات البربرية ، تعتبر لواتة و نفوسه ، و اداسه من السكان المحليين ، أي سكان البلاد الأصليين ، أما هوارة فانه بالرغم من تأكيدات المؤرخين العرب ، و التي قبل بها الكتاب المعاصرون ، فانهم ليسوا أصليين في طرابلس الغرب ، بل من الأيسر أي من الجزائر و تونس الغربية ، مثلهم مثل بقية العائلات البربرية من البرانس [4] .

3 . المرابطون : يزعم بعض المؤرخين أن اسمهم يشتق من كلمة " الرباط " و معناها الحصن ، دلالة على أن المرابطين كانوا يقيمون في الحصون التي أنشأها العرب على طول السواحل الإفريقية . و يقال أن المرابطين من نسل عربي ، جاءوا إلى البلاد مع الفتح الإسلامي ثم امتزجوا بالبربر ، السكان الأصلين ، و كانت توكل إليهم مسؤولية الحراسة و الدفاع عن الحصون الأمامية . و بالتدريج حولوا حصونهم إلى زوايا للعبادة ، و انصرفوا نحو الروحانيات و عبادة الله . و يقول أخرون أنهم من سلالة عربية – بربرية،

---

[1] إسماعيل ، كمالي ، سكان طرابلس الغرب ، تعريب وتعليق : حسن الهادي بن يونس ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ص 29 .

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج 6 ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 2000 ، ص 16 .

[3] محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص 62 .

[4] إسماعيل كمالي ، مرجع سابق ، ص 20 .

جاءوا في الأصل من " الساقية الحمراء " في جنوبي مراكش [1] ، و استقروا في أنحاء متفرقة من الساحل الإفريقي الشمالي ، و كل جماعة منهم تزعم أنها تنتسب إلى أحد الأولياء الصالحين .

و يزعم اخرون أنهم من مزيج من السلالات العربية و الإغريقية و البربرية ـ لا يعرف تاريخ تكوينهم بالضبط ، و لكن الذي لا شك فيه أن " المرابطين " يتمتعون باحترام خاص عند العامة ، كما أن لهم نفوذا كبيرا على الجماهير . و قد لعبوا دورا هاما في تاريخ البلاد [2] .

و قد أصبحت لفظة " مرابط " في طرابلس مرادفة لكلمة " ولي " في سائر البلاد العربية .

4 . الطوارق : و هم التوارك هكذا أطلق عليهم المسلمون الأوائل ، حيث أنهم تركوا الإسلام بعد أن اعتنقوه ، و لكنهم فيما بعد حسن اسلامهم ، و ينتشرون في الصحراء ، و يسمون أيضا باسم " بدو الصحراء " ، و هم طوال القامة ، سمر البشرة ، يتركزون في ولاية فزان ، و يختلف الطوارق عن العرب و البربر في نظام معيشتهم و نظرتهم الى المرأة ، و هم قوم رحل ينتظمون في قبائل ينتخبون رؤساءها و يكون خليفة الرئيس عادة ابن أخته [3] .

و الطوارق صنفين نبلاء و أمجاد ، و الأمجاد يتبعون النبلاء ، و رئيس النبلاء هو القائد أثناء الحرب و القاضي أثناء السلم . و تتحدد مكانة الشخص و طبقته تبعا لمكانة أمه .

و للمرأة مكانة عظيمة عند الطوارق ، و هي لا تضع الحجاب على وجهها ، بل الرجل هو الذي يضع اللثام ، و يختلف اللثام حسب الطبقة ، فالأمجاد يضعون اللثام الأبيض ، و النبلاء يضعون اللثام الأسود . و هم يضعون اللثام ليلا و نهارا ، حضرا و سفرا ، و لعلهم اتخذوه في الأصل اتقاء للبرد و الحر ، أو اتقاء لرمال الصحراء ، أو خدعة و تنكرا في الحروب ، و لا يستطيع الطارقي أن يرفعه حتى أثناء النوم ، و لا يرفعه قط إلا حين يتناول الطعام ، و هو في هذه الحالة يضع يده علي فمه . و للطوارق لغة خاصة بهم إضافة الى اللغة العربية .

5 . الزنوج : يكون الزنوج أجزاء من السكان المسلمين و عددهم قليل ، أكثرهم من نسل العبيد الذين كان التجار الطرابلسيون يجلبونهم في العصور الماضية من نيجيريا بفعل حركة القوافل [4]. و يطلق عليهم الطرابلسيون لفظة " شوشان " . و قد امتزج بعض هؤلاء بالسكان ، و تكون من هذا المزيج طبقة من المولودين [5] .

6 . اليهود : يوجد في طرابلس الغرب جماعات قوية من السكان الإسرائيليين ، و قد جاءوا البلاد على شكل دفعات الأولى منذ أيام الرومان ، و الثانية جاءت من الأندلس أثناء الاضطهاد الديني بعد خروج المسلمين منها ، و الثالثة في القرن التاسع عشر جاءوا من أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية ليمثلوا دورا

[1] اتفقت أكثر الآراء على أن هذا المكان لا وجود له في مراكش ، و أن المرابطين ، عندنا كانوا يشيرون إلى " الساقية الحمراء " ربما عنوا " سواقي الدماء " التي كانت تسيل من أجسادهم أثناء الجهاد .

[2] راسم ، رشدي ، طرابلس الغرب في الماضي و الحاضر ، طرابلس (ليبيا) ، ط 2 ، 1953 ، ص 187 – 188 .

[3] محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص 62 – 64 .

[4] إسماعيل كمالي ، مرجع سابق ، ص 61 .

[5] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 188 .

لهم ، كما فعل اليهود الدونمة في تركيا . وقد هاجر معظمهم الى فلسطين ، ولا يزيد عددهم عن 6000 نسمة ، معظمهم يقيم في مدينة طرابلس ، و بعضهم و هو القليل حيث لا يتجاوز المئات يقيم في برقة ، و يعملون في التجارة [1] .

7 . الكولوغلية [2] : من التركية قول أغلى المنحدرون من اختلاط الانكشاريين بالبربر الخاضعين للحكم العثماني و بالعبيد البيض (المماليك) المسيحيين الذين أسرهم فرسان البحر الطرابلسيين . يوجد في طرابلس مجموعات قوية منهم ، عددهم الإجمالي يبلغ 45 ألفا ، و يؤلفون أكثر من 9 بالمائة من سكان طرابلس الغرب [3] .

8 . الأشراف [4] : أو الشرفة يكونون النبالة الدينية في الإسلام لأنهم يؤكدون انتسابهم الى النبي صلى الله عليه وسلم . و يدعون ميراثهم لمحمد روحيا و زمنيا و يستدلون بأن السر الإلهي انتقل اليهم مع دم النبي ، و كل واحد من الشرفاء يعتبر حاملا لشرارة مقدر لها أم تضئ العالم ، و يتمتع بأفضلية أخلاقية على بقية البشر .

9 . الأقليات : يوجد في البلاد عدد من الأجانب يزيد على 80 ألف نسمة ينتمون إلى 35 جنسية ، معظمهم يقيم في ولاية طرابلس حيث يتجمع في هذه الولاية 92 بالمئة من الأجانب ، يشكل الإيطاليون أكبر الأقليات يبلغ عددهم حوالي 70 ألفا ، و يحتفظ الإيطاليون بلغتهم و دينهم و ثقافتهم ، أكثرهم من أصحاب المهن و العمال الفنيين و الحرف و جزء كبير منهم من طبقة التجار . و يلي الإيطاليون اليهود . ثم عدد قليل جدا من المالطيين و اليونانيين و الأرمن يعيشون هؤلاء على التجارة و أعمال السفن ، إضافة إلى الأمريكان و الانجليز [5] .

و هنالك جاليات أخرى من البلاد العربية من مصريين و تونسيين و سوريين ، و تزداد نسبتهم تدريجيا بسبب وضع البلاد الاعماري [6].

2 _ الطبقات الاجتماعية :

المجتمع المدني في العصر العثماني كان منقسما الى فئات أو طبقات ، يمكن تحديدها على الوجه التالي :

---

[1] إسماعيل كمالي ، مرجع سابق ، ص 61 .

[2] الكولوغلية : المنحدرون من الانكشاريين الأوليين الذين جاءوا من تركيا مع سنان درغوت باشا ، اللذين استوليا على طرابلس الغرب في عام 1551 بعد ان نزعاها من الاسبان .

[3] إسماعيل كمالي ، مرجع سابق ، ص 60 .

[4] الأشراف قادمون من فاس ، مرجع سابق ، ص 58 .

[5] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 188 – 191 .

[6] محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص 64 ، 65 .

- طبقة الحكام و العسكريين .

- طبقة رجال الدين .

- طبقة الحرفيين و الصناعيين .

- طبقة الأرقاء .

هذا التقسيم يشمل أغلب السكان و التجمعات المدنية ، و هو ينطبق على وضع طرابلس الاجتماعي في نهاية القرن السابع عشر .

أ . الحكام و العسكريون :

يـأتون في أول السلم الاجتماعي و في أيديهم النفوذ الأكبر بالنسبة لسائر الفئات أو الطبقات الأخرى . فالوالي أو القاضي أو اغا الانكشارية و كذلك سائر كبار الإداريين العثمانيين في الولاية ، يحملون مع تسلمهم لوظائفهم قوة نفوذ و تصرف و سيطرة تسمح لهم بالتحكم بأمور السياسة و الاقتصاد و المال . و بهذا المعنى فإن الحكام و العسكريين الممثلين للسلطة هم أصحاب النفوذ فيها ، و هذا النفوذ يملك استقلاليته و ديناميكيته [1] . الاستقلالية يعبر عنها باستقلال السلطة و النفوذ عن قوة المال أو التجارة أو أي شيء اخر مشابه ، أما الديناميكية فيعبر عنها بالقول بأن السلطة هي التي تخلق الثروة و ليس لعكس . و بحكم مناصبهم التي تأمن لهم النفوذ ، كانوا يخلقون ثرواتهم و يجعلون من أنفسهم أغنياء و يتحكمون بسائر الأمور .

و الحكام كانوا يطلقون لأنفسهم حرية الاتجار ، بفرض أنفسهم على التجار الذين يلتمسون منهم الحماية . " و قد كان للوالي الإمكانيات و الفرص العديدة التي يمكنه استغلالها لتنمية ثروته ، أسرى معارك ، التهديد و الضغط و الاتجار لحسابه الخاص " [2] . و هم بذلك يشكلون فئة ذات وضعية خاصة ترتفع فوق سائر طبقات المجتمع الأخرى .

ب . رجال الدين :

يملك رجال الدين مميزات تسهل وضعهم في مرتبة خاصة ، و تجعلهم يفيدون من خصوصيات وضعهم . و هم من السكان المحليين و من العائلات المعدودة و المعروفة ، و كان هؤلاء يشكلون ثقلا معنويا ، أكثر من امتلاكهم لنفوذ في السلطة و قد كان كبارهم يستفيدون من رخص و إعفاءات لا يحصل عليها عامة الناس . و كانوا على علاقات وثيقة بالحكام و خصوصا الحكام الشرعيين أو القضاة الذين يمنحونهم الوظائف .

و الوظائف الدينية يتوارثها الأبناء عن الاباء ، و كان عدد رجال الدين واسعا نسبيا ، حيث بلغ عددهم تقريبا حوالي عدة مئات في القرن السابع عشر . إذ أن كل مسجد كان يحتاج إلى مؤذن أو أكثر و إلى خطيب أو أكثر ، و إلى إمام أو أكثر . و قد يبلغ عدد المؤذنين في المسجد الواحد ثمانية كما في المسجد

[1] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 121 .

[2] د. خالد ، زيادة ، الصورة التقليدية للمجتمع المدني ، قراءة منهجية في سجلات محاكمة طرابلس الشرعية في القرن السابع عشر و بداية القرن الثامن عشر ، معهد العلوم الاجتماعية ، الفرع الثالث ، طرابلس 1983 ، ص 74 .

المنصوري الكبير . يضاف إلى ذلك الوعاظ و المدرسين و القراء . و قد كان هؤلاء يحصلون على بدلات مباشرتهم للوظائف الدينية من متحصلات الأوقاف الخيرية التي كان يشرف عليها الحاكم الشرعي [1] .

ج . التجار :

كان التجار على غرار رجال الدين من العائلات المحلية الطرابلسية ، و قد ذكرنا التداخل الذي كان بينهم بانتسابهم الى العائلات نفسها . لكن ثمة فارقا أساسيا و هو وجود عدد هام من التجار المسيحيين ذوي الثروات الكبيرة .

و قد كان للتجارة و التجار مكانة مرموقة تقليديا في المدينة الإسلامية ، و قد حضت الشريعة و الفقهاء على التجارة ، و اعتبرتها من أشرف المهن .

و للتجار نقابتهم أو طائفتهم و كانت من أبرز الطوائف المهنية . و شيخ التجار شخصية بارزة في المدينة و كان شيخا للسوق في نفس الوقت . إلا أن التجار ما كانوا يملكون نفوذا سياسيا ، و إن كانوا يستمدون بعض النفوذ من علاقاتهم و ما يقدمونه من خدمات للحكام . و لم يكن للتجارة المكانة المعنوية التي كانت لرجال الدين ، إلا أنهم كانوا يملكون الوجاهة . فالتجار الكبار هم وجوه المدينة و ملجأ للعامة عند الاحتياج [2] .

و كان للتجار مبالغ طائلة كانوا يركمونها من تجارة المواد الغذائية و الأقمشة في السوق ، أو من المتاجرة بالحرير مع الخارج ، و من المتاجرة الخارجية مع البلدان المحيطة في المنطقة أو من التجارة مع أوروبا . إلا أن هذه الثروات كانت خاضعة للمصادرة أحيانا من قبل الحكام في أوقات الشدة ، أو ازدياد العسف [3] ، حيث يعمد الوالي أو أعوانه لمصادرة ممتلكات أحد الأغنياء ، لأتفه الأسباب .

أما العلاقة التي كانت بين التجار المسلمين و التجار المسيحيين كانت جيدة ، و قد قامت بينهم شراكات ووكالات [4] .

د . الحرفيون و الصناعيون :

انتظم الحرفيون في طوائف حرفية تشبه اليوم الى حد كبير النقابات المهنية ، يشكل الحرفيون و الصناعيون المنضمون في طوائف المهن و الحرف الطبقة الوسطى و المحدودة الدخل في المدينة العثمانية . و كان لكل حرفة تنظيمها الخاص و تقاليدها التي لا يمكن تجاوزها ، و كان التفاعل الاجتماعي و الاقتصادي يتم عبر هذه التنظيمات الحرفية [5] ، و كانت أعدادهم كبيرة نسبيا ، و كانت هذه الطوائف الحرفية تحظى بنوع من الاستقلال الداخلي النسبي . و في نفس الوقت كانت لهم صلات مع القاضي من جهة و مع الوالي من جهة أخرى .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 100 – 101 .

[2] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 125 – 126 .

[3] العسف : الظلم أي أخذ الشيء بالقوة ، المنجد الأبجدي ، دار المشرق – بيروت ، ط 1 .

[4] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 129 .

[5] عمار جحيدر ، مرجع سابق ، ص 260 .

كانت علاقاتهم بالقاضي أو بالحاكم تقوم على أساس مراقبة الحاكم الشرعي لاختيارهم وعزلهم لشيوخهم و لكي يصبح انتخابهم لشيخهم نافذا ينبغي الحصول على موافقة القاضي [1].

أما بالنسبة للحمامين و الحلاقين و الجراحين اعتبروا أهل حرفة واحدة . لأن الحلاق أو الجراح مثلا كان يقوم بمهمة الطب و الحلاقة و الختان و كل ما يتعلق بمهنة الطب العربية . و كانت علاقاتهم بالوالي و سائر الحكام من قائمقام [2] و خزنة دار ، تقوم على أساس التزامهم بتموين سرايا الوالي بما تحتاجه من المؤن ، حتى أن القاضي كان يستعين ببعض أهل الحرف من ذوي الاختصاص في تخمين بعض الأمور و خصوصا في شؤون الكشف على و الأماكن الخربة .

و بالرغم من أن كل حرفة كانت تشكل طائفة مستقلة عن غيرها ، إلا أن بعض الطوائف الحرفية المرتبطة أعمالها ببعضها البعض كانت تتفق على تنصيب مشرف منسق فيما بينها لعدم وقوع خلافات و لحل مشاكلهم ، و يعرف اسم هذا المنسق باسم " أخي بابا " [3] . إلا أن بعض المشاكل بين أهل الحرف كانت تستوجب تدخل الحاكم الشرعي نفسه ، و خصوصا حين يختلفون على تقسيم الضرائب فيما بينهم .

و كان هناك حرف أخرى مختلطة و أخرى منفصلة ، بحيث يكون للحرفة الواحدة نقابتان : واحدة للمسلمين و أخرى للمسيحيين أو اليهود ، و قد عرف المسيحيون و كذلك اليهود ببعض المهم التي لم يشاركهم فيها المسلمون . و قد شمل التنظيم الحرفي كافة أنواع المهن ، من باعة و تجار و صناعيين إلى الحمالين و الشحادين و غيرهم ، و أبز الطوائف التي عرفتها طرابلس هي [4] : الخبازون – الفرانون – البوابجية – العقادون – الحلاقون – الحمامون – المعماريون – النجارون – الدباغون – الحمالون – القواقجية [5] - التجار – الخياطون – الحياكون – الخضرية – الفاكهاتية – الحدادون – الطواقجية [6]الطباخون – القزازون – النحاسون – الصياغون – السماكون – الصباغون – الشعارون – بياطرة ..... الخ [7] .

هـ . الأرقاء :

لم يكن ثمة ما يمنع من تملك العبيد و الأرقاء ، و إن كانت الشريعة تحض على تحريرهم ، و كان العبيد في طرابلس يعملون في خدمة الحكام كخدم في قصورهم ، كما كانوا يعملون كخدم في الخدمة المنزلية العادية . كما أن لهم دور في الخدمة العسكرية .

---

[1] نفس المرجع ، ص 129 – 130 .

[2] قائمقام : هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبه ، مثل قائم مقام إستانبول ، و هو أعلى منصب إداري في الأقضية . د . سهيل ، صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض 1321 هـ - 2000 م ، ص 170 .

[3] وظيفة الباباتية أو أخي بابا هي وظيفة وراثية ، و كذلك شرفية ، و يتوجب على صاحبها أن يكون من السادة الأشراف . و يحمل الصفات الضرورية كالعفة و الأمانة و التواضع . و يتقاضى أجر عمله من الذين يوكلونه لحل مشاكلهم . نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 133 .

[4] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 134 .

[5] القواقجية : نسبة إلى قاووق من التركية ، و هي القبعة العثمانية التي كانت تلبس قبل انتشار لبس الطربوش . سهيل صابان ، معجم موسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، ص 176 .

[6] الطاواقجية : مفردها طاقي جي ،و هم صانعوا أو بائعو قلانس الرأس الضيقة المصنوعة من الكتان .

[7] خالد زيادة ، مرجع سابق ، الجدول مذكور في ص 143 .

و ذكر نهدى صبحى نقيب في كتابه عن العتق في سنة 1078 هـ ، عتق الوالي أحمد باشا أحد عشر من مماليكه دفعة واحدة و هو على فراش المرض [1] ، و تحرير العبد يتم بطرق متعددة منها التدبير ، أي الوعد بالتحرير بعد حين .

و الواقع أن القضايا المتعلقة بالعبيد و الأرقاء كانت موضوعا لخلافات أمام القاضي ، و لم يكن مستغربا أن تتملك النساء الغنيات الجواري و الرقيق [2] . و كان يمكن لمالك العبد أن يتصرف به بطرق شتى كأن يقدمه هدية أو يعيره لمدة من الوقت فضلا عن تحريره و عتقه . و كان يتراوح سعر العبد بين سبعين غرشا و مائتي غرش . و هو مبلغ يعادل سعر دار من طبقتين في ذلك الوقت .

و كان العبيد يشكلون جزءا من سكان طرابلس ، و أجناسهم تدل على أصول بعض سكان المدينة ، فكان منهم : الروسي ، البغداني ، و الحبشي ، الكرجي ، الجركسي ، و النوبي ، الموري و غير ذلك [3] .

3 _ المرأة :

كانت المرأة في المجتمع الليبي بصفة عامة ، و في طرابلس بصفة خاصة إبان العهد العثماني ، تحتل مرتبة تقل عن المرتبة التي يحتلها الرجل ، رغم أن دورها كان كبيرا في حركة حياة الرجل ، كأم و زوجة و بنت و يد عاملة و منتجة ، إلا أن نظرة الرجل لها كانت نظرة أنانية المنطلق ، استبدادية متعالية . فقد استقر في عقل الرجل أن المرأة ناقصة العقل . سيئة التدبير ، سريعة التقلب ، ليست أهلا للثقة ، و أنها خلقت إلا لرعايته و تأمين راحته و إشباع شهواته ، و هذه الأفكار أفرزت مجموعة من العادات و الطقوس تقوم على تقييد حرية المرأة ، و التعالي و الهيمنة و الغيرة المفرطة عليها ، نظرا لكونها ملكا و متاعا خاصا للرجل ، فقد ربط شرفه و كرامته بتصرفاتها و سلوكها [4]. و بما أنها ليست أهلا للثقة فقد فرض عليها كثيرا من القيود التي تحد من حريتها و تفاعلها داخل الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه ، مع أن الدين الإسلامي أعطاها وضعا اجتماعيا مميزا ، و منحها حقوقا و فرض عليها واجبات رفعت من منزلتها الإنسانية و الاجتماعية ، إلا أن العهود السياسية المظلمة التي بليت بها الأمة العربية ، و ما نجم عنها من فوضى مست كل جوانب الحياة حتى الأسرية منها ، خلفت ظروفا ألغى الرجل فيها كثيرا من تلك الحقوق و أعفاها من عدد من الواجبات ، بل اعتبر أن إنزال مرتبة المرأة الاجتماعي هو من التمسك بالدين . خاصة حين تولى كبار رجال الدين و العلم الذين ظهروا في تلك العهود ، كان لهم تأثير واسه على جموع المسلمين البسطاء ، حث الناس على تقييد حرية المرأة و إلزامها الحجاب و التقوقع في المنزل . فحتى أبو حامد الغزالي [5] الذي ينعت بحجة الإسلام ، و كان لفقهه و آرائه الدينية التأثير الكبير على عموم الناس ، فإن رأيه في المرأة حسب ما جاء في أهم مؤلفاته " إحياء علوم الدين " { أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة مغزلها ، لا يكثر صعودها و اطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها في غيبته ، تطلب مسرته في جميع الأمور و لا تخونه في نفسها و لا

[1] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 136 .

[2] المرجع نفسه ، ص 137 .

[3] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 138 .

[4] تيسير ، بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني " دراسة تاريخية اجتماعية " ، الدار العربية للكتاب ، 1988 ، ص 57 .

[5] أحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس هجري ، كان فقيها و أصوليا و فيلسوفا ، و كان صوفي الطريقة . شافعي الفقه إذ لم يكن للشافعية في اخر عصره مثله ، و عرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام . لقب الغزالي بألقاب كثيرة أشهرها " حجة الإسلام " .

تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن خرجت بإذنه فمتخفية في هيئة رثة . تطلب المواضع الخالية دون الشوارع و الأسواق ، محترزة أن يسمع الغريب صوتها أو يعرفها بشخصها ، ولا تتعرف على صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر عبى من تظن أنه يعرفها أو تعرفه . مقبلة على صلاتها و صيامها ....} و قوله { .... ملازمة الصلاح و الانقباض في غيبة زوجها و الرجوع إلى اللعب و الانبساط و أسباب اللذة في حضور زوجها } [1] .

يضاف الى المواعظ و الإرشادات رجال الدين ، القصص و الحكايات الشعبية المتواترة و المنتشرة بين الناس كحكايا ألف ليلة و ليلة و غيرها التي تحذر من كيد النساء ، و تحث على عدم الثقة بهن ، و أنهن أصل البلاء و الشرور بالدنيا و الأخرة ، كل هذا أدى الى وضع القيود عليها و حجب الحرية الشخصية عنها ـ و إنزال مرتبتها ، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تخلف المرأة و تخلف المجتمع . و يظهر هذا السلوك المتشدد للرجل اتجاه المرأة في الحياة الحضرية أكثر منه في مجتمع الريف و البادية إذ أن المرأة الريفية و البدوية كانت تملك من الحرية ، خاصة حرية الاختلاط بالرجال في الحقل و الشارع أكثر مما تملكها المرأة في المجتمع المديني ، و قد خفف الرجل البدوي أو الريفي من قيوده نظرا لحاجته الماسة لها لمساعدته في أعمال الحرث ، الحصاد ، و قطف الزيتون كما تتولى جلب الحطب و الماء للمنزل ، و العناية بالدجاج و الحمام و الأرانب ، الخراف ، الماعز و البقر . كما تختص بنسج العبي و الخيام و الملابس ، و صنع الحصر و رحى الحبوب و الفلفل ، و تضطر أحيانا الذهاب الى السوق لبيع الخضار و منتجاتها البيتية من سمن و جبن و كساء .... و غيرها من الأعمال . فالمرأة في الريف أو البادية أعمالها كثيرة سواء كانت داخل البيت أو خارجه [2].

المرأة في المدينة على عكس المرأة في الريف ، كانت لا تخرج من البيت إلا في المناسبات المهمة جدا و لا تخرج إلا و هي متلحفة بردائها (الفراشية) ، و كانت بعض العائلات القادرة تمنع نسائها من السير في الشوارع و كان تنقلها يتم في عربات (كروسه) و في الليل حين يشتد الظلام . أي أن وظيفة المرأة في المدن كانت تنحصر في إمتاع الرجل و إنجاب الأولاد ، و تتلهى بمغزل و مسدة صغير لنسج بعض الملابس ، و كان ثمة حاجز بينها و بين زوجها ، فلزوجها عالمه الخاص و لا يجب التدخل فيه . و بعد عودة الرجل من العمل في المساء يجد مائدته جاهزة فيأكل بمفرده ، و أحيانا مع ابنه الكبير و يقدم له أجود و رأس ما طهته الزوجة ، و بعد انتهاءه من تناول طعامه يبدأ بقية الأولاد و الام تناول ما فضل من طعام ، و نادرا ما يبقى الرجل مع زوجه و أولاده ، و لا يتاح للمرأة محادثة زوجها في شؤون المنزل و الأولاد إلا حين يأوي للفراش أو في الصبح أثناء تناول وجبة الإفطار ، و يقوم الرجل بتزويد ما يلزم بيته من مأكل و شراب و لباس [3] .

و كانت البنت حين تولد يعلم جدها أو الأب في بادئ الأمر و هو لذي يختار الاسم لها ، و كان استقبال الأسرة للبنت كما هو معروف في الوطن العربي ، فاترا و أحيانا رافضا لأنها جاءت بنت ، إما كانت بكرية أو زادت عدد الاناث على عدد الذكور ، و هناك مثل يقول " البنات زريعة ابليس ". و قد يتصرف والدها أحيانا تصرفات غاضبة كأن يرفض رؤيتها و يعاقب الأم إما بإهمالها أو التفكير بالزواج

[1] أبو حامد ، الغزالي ، احياد علوم الدين ، الجزء 2 ، دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، ص 54 – 55 .

[2] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 59 .

[3] المرجع نفسه ، ص 58 – 59 .

عليها و تطليقها . و كانت هناك عادة في الريف إلباس الطفلة حين ولادتها ثوبا مصنوعا من أحد أثواب أمها القديمة ، تفاؤلا كي تعيش و إشارة أولية من الأم بتسليم بنتها دورها في الحياة ، كربة بيت و أم . و لما تبلغ الفتاة الحادية عشر تختفي عن عيون الغرباء و تمنع من الخروج من المنزل ، و تبدأ في دخول عالم المرأة فيفرض عليها لبس الرداء الذي ترتديه المرأة الكبيرة ، و مساعدة أمها في كامل الأعمال المنزلية .

و رغم أن المرأة في نظر المجتمع العضو القاصر الضعيف ، مع أنها اعتادت هذه الحياة و رضيت بتلك المنزلة إلا أنها حين يتجاوز الرجل أو أحد من أهله حدوده و يمعن في تعسفه و تعاليه عليها و لا يعاملونها المعاملة الحسنة ، تلجأ إلى الوسيلة الكفيلة برد الرجل رشده و احترام إنسانيتها ، بترك بيت زوجها و الذهاب إلى بيت أهلها و هو ما يسمى " بالحرج " ، و الحرج تصرف و طريقة متعارف عليها في المجتمع الليبي بصفة عامة حضرا و ريفا و بداة ، لأن المرأة تبقى مدى الحياة عضوا في عائلتين ، عائلة زوجها و عائلة أبيها ، و هناك مثل سائر يقول أن للمرأة قبرين : قبر زوجها و قبر التراب .

و يختلف وزن الزوجة الاجتماعي و تأثيرها على الزوج من امرأة الى أخرى و ذلك بما تملكه من ذكور أو مال أو جمال و صغر سن ، و يظهر ذلك جليا في حالات تعدد الزوجات فالمرأة التي أنجبت ذكورا اكثر من ضرائرها ، أو أنها تملك ثروة أكثر .أو ذات حسن و صغيرة ، فإن موقعها يكون أعلى و نفوذها على زوجها أكبر [1] .

و أخيرا تغير الوضع الاجتماعي للمرأة مع أواخر العهد العثماني نحو الأفضل خاصة في المدن . فقد أخذ الليبيون يتحمسون الى تعليمها و إدخالها المدارس الابتدائية ثم الثانوية (الرشدية) و المتخصصة ، و يعكس ذلك تعدد مدارس البنات في مدن طرابلس ، مصراتة ..... و غيرها ، سواء كانت ابتدائية أو ثانوية . حتى أن الولاة المتأخرون أخذوا يشجعون هذا الاتجاه فكانوا يحرصون على حضور حفلات تخرج الطالبات من المدارس الثانوية و الابتدائية ، و منحهن جوائز تشجيعية ، كما كانوا يدعون رجال الدين و رجال الإفتاء لمرافقتهم الى هذه الحفلات و إلقاء كلمات تشجع الفتاة و أولياء الأمور على التعلم و طلب العلم ، كما أسس العثمانيون فرعا خاصا في مدرسة الفنون و الصنائع للإناث ، يتعلمن فيه حرف الخياطة ، التطريز و النسيج ... الخ . حتى أن بعض النساء أصبحن مدرسات و مديرات مدارس ابتدائية ، ثانوية ، و كان يمكن أن يستمر انطلاق المرأة لولا الغزو الإيطالي الذي أعاد المرأة الى منزلها و عالمها القديم [2] .

و من الأمثال المتداولة أيضا في المجتمع " اللي عنده البنات يناسب الكلاب " .

4 _ أهل الذمة :

عرفت طرابلس تنوعا سكانيا دينيا و مذهبيا . فقد كانت تمثل مركزا اقتصاديا و إداريا لجميع سكان الولاية . و كانت واحدة من المدن العثمانية التي يتألف سكانها من مجموعات تنتمي إلى أديان مختلفة : مسلمون ، مسيحيون ، يهود . و مما لا شك فيه أن أصول المجموعات ، مهما اختلفت أصولها الدينية إلا أنهم تعايشوا فيما بينهم رغم كل التقلبات . و الواقع ان الطرق التي كان يتبعها الحكم الإسلامي كانت قد

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 61 – 60 .

[2] نفس المرجع ، ص 62 – 63 .

ترسخت منذ العهود الإسلامية الأولى ، إلا أن هذه التقاليد أو القواعد أو الطرق قد طالتها التطورات . و بالنسبة للعثمانيين فقد أحدثوا نوعا من النظام المبني على التقاليد الموروثة عرف باسم " نظام الملك " . و تكمن قيمة هذا النظام في نواحيه العلمية إذ تهدف إلى تنظيم الشؤون المتعلقة بالأديان و في علاقاتها فيما بينهما . كما أنه ترك لكل دين أو مذهب حرية تنظيم شؤونه الداخلية [1] .

كانت المجموعة اليهودية في طرابلس اقل عددا بشكل ملحوظ من جميع المجموعات الأخرى ، يقدر عددهم حول بضع مئات فقط ، و قد سكنوا في محلة عرفت باسمهم " محلة اليهود " . أما بالنسبة للوضع المدني الذي كان يعيش فيه اليهود لم يبرز منهم تجار لامعون أو موظفون كبار ، بل اقتصرت أعمالهم على الصناعات الحرفية . و قد تخصصوا في بعض الحرف كالصياغة و الصباغة و دبغ الجلود . و مع ذلك فإن مشاركتهم في الحياة العامة لم تكن غائبة و خصوصا في جهة المعاملات المالية في عمليات البيع و الشراء العقارية أو غيرها .

و أبز الشخصيات اليهودية في طرابلس كان حاخام [2] اليهود الذي يعتبر المرجع في شؤون الرعية من الناحية الدينية و القانونية ، وكان القاضي يستدعيه أو يستشيره حين يتعلق الأمر بمشاكل تعود إلى اليهود . أما الشخصية الأخرى البارزة لدى اليهود كانت شخصية شيخ الحارة أي محلة اليهود ، و الذي كانت له بعض المسؤوليات المتعلقة خصوصا بأبناء محلته لجهة الضرائب المتوجبة عليهم لصالح الحكام . و كانت مشكلتهم الأساسية مع المسيحيين ، و يعود ذلك إلى أسباب ايدولوجية و دينية ، وكذلك إلى أسباب قانونية ، إذ أن قوانين متشابهة كانت تجمعهم . بسبب العداوة القديمة بين الطائفتين ، و يذكر أنه في الكثير من المرات تشتكي طائفة على أخرى .

أما أوضاع المسيحيين فكانت مختلفة الى حد بعيد و ذلك لجملة من الأسباب ، فالمجموعة الأرثوذكسية في طرابلس كانت تشكل أقلية كبيرة العدد تصل نسبتها بالنسبة إلى مجموع السكان ما يقرب من ربع السكان في المدينة . و لم تكن هناك خلافات بين الروم الكاثوليك و الأرثوذكس [3] . و بسبب الكثافة النسبية لعدد الأرثوذكس فقد انتشروا في كافة أرجاء المدينة ، و لم تخل محلة من عائلة مسيحية أو أكثر ومع ذلك فقد تمركز سكن الأرثوذكس في الطرف الشمالي الغربي من المدينة.

و من الناحية القانونية فإن المسيحيين كانوا خاضعين لنظام الملل الذي يشملهم مع اليهود ، و لم تكن ثمة موانع تمنعهم من ممارسة الحياة بأوجهها المختلفة اقتصاديا أو إداريا أو اجتماعيا . و كثير منهم احتلوا مناصب إدارية معروفة لدى الولاة المتعاقبين و خصوصا المناصب ذات الصفة المالية .

و كان المطران [4] أكبر شخصية أرثوذكسية في المدينة ، كان يدير شؤون جماعته من الناحية الروحية و التربوية و الاجتماعية ، وكان صلة الوصل بين طائفته و بين الحكام عندما تدعوا الحاجة إلى ذلك ، علما أن القاضي كان يستشير المطران أو من ينوب عنه من رجال الدين المسيحيين في الشؤون القانونية العائدة لأبناء طائفته و خصوصا قضايا الزواج و الطلاق .

---

[1] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 142 .

[2] حاخام : هو زعيم ديني ، هي كلمة عبرية تعني " حكيم " و هو اللقب الذي أطلق على زعماء اليهود في البلدان العربية و الإسلامية

[3] نهدى صبحى نقيب ، مرجع سابق ، ص 144 .

[4] المطران هو رئيس المدينة و القاضي الذي يفصل الخصومات بين المسيحيين .

المطلب الثاني : الأسرة في طرابلس الغرب

1. التركيب الأسري :

كانت الأسر الليبية تنتظم فيما يعرف بالأسر الأبوية الممتدة و المركبة ، فقد كانت المساكن تزدحم بأهلها نظرا لبقاء الأب و الأبناء و زوجاتهم ، و أحفاده في بيت واحد متسع [1] ، السلطة المطلقة فيه للأب الكبير ، و بجانب الأسر الممتدة . كان هناك الأسر الزوجية البسيطة التي تضم الزوج و الزوجة و الأولاد ، و قد كان هذا النوع منتشرا بين الأسر التي استوطنت المدينة حديثا نازحة إليها من القرية أو القبيلة ، لكنها رغم انفصالها الجغرافي عن أسرتها الأبوية الكبيرة . فقد ظلت مرتبطة بها ارتباطا وثيقا وجدانيا و اجتماعيا و أخلاقيا ، و قد اتسم المجتمع المديني بأن نسبة الترابط بين الأسر المكونة له أضعف من نسبة الترابط الاجتماعي القائم في مجتمع القرية أو القبيلة . و هذا الضعف ناتج عن ظروف السكن التي تتحكم بسير الحياة في المجتمع المديني بشكل عام ، و نجد ان هذا الترابط يقوي بين أفراد الحي الواحد و الحرفة الواحدة و الطريقة الدينية أو الصوفية المنتسبين إليها [2] .

و الأسرة في المجتمع البدوي ، كما هو الحال في المجتمع الريفي ، الأسرة المركبة الابوية ، و من مجموعة من هذه الأسر تتكون اللحمة أو العشيرة ، التي يتراوح حجمها مائة شخص ، معظمها من الأقارب العاصبين الذين يردون نسبهم إلى جد واحد مشترك ، قد يرجع إلى أربعة أجيال سابقة أو أكثر [3] . و الذي يقوم بحل النزاعات المحلية و القبلية هو شيخ القبيلة [4] .

2 . حياة الناس اليومية :

كان يوم العمل يبدأ في التاسعة صباحا و يستمر حتى غروب الشمس ، و ذلك بالنسبة للحرفيين و أصحاب الحوانيت و الأعمال الحرة . أما توقيت العمل للموظفين الرسميين فكان من الثامنة و النصف صباحا إلى الثالثة و النصف مساءا . و تبدوا المدينة خالية بعد الغروب إذ يأوي الجميع لبيوتهم لتناول طعام العشاء الذي يعتبر الوجبة الرئيسية ، تقدم فيه المأكولات الشعبية الدسمة (الكسكسي ، البازين ..... الخ) بينما تكون وجبة الغذاء خفيفة في معظم البيوت

و بعد صلاة العشاء إما أن يأوي المواطن لفراشه بعد تناول بضعة أقداح من الشاي القوي ، أو ينظم لإحدى جلسات السمر مع أصدقائه و أقرانه ، أو يحضر نوبات الذكر في الزاوية الصوفية المنتمي إليها ، و قد تستمر الجلسات خاصة في ليالي أيام الخميس ، حتى ساعات متأخرة من الليل ، ذلك أن اليوم التالي هو الجمعة يوم راحة للجميع [5] .

---

[1] محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص 71 .

[2] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 31 .

[3] المرجع نفسه ، ص 50 .

[4] د. علي عبد اللطيف ، حميدة ، المجتمع و الدولة و الاستعمار ، " دراسة في الأصول الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية لحركات و سياسة التواطؤ و مقاومة الاستعمار 1830 – 1936 " ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1995 ، ص 78 .

[5] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 33 .

- حياة الأسرة اليهودية :

حسب قول إفالد بانزة في الحياة اليومية لليهود ، يبدأ صباحهم بشرب القهوة الممزوجة مع الحليب و السكر ، و يتناولون كعكا يحضر بيتيا على شكل حلقات مصنوعة من السميد و الملح و الماء ، و في الوقت ذاته يوضع اللحم المخصص للغداء في الماء إلى أن يخرج منه الدم و يبيض تماما . و عندما يذهب الرجل إلى أشغاله ، تقوم النساء بأعمال التنظيف و الخبز ، الطبخ و ينظف البيت كل ثلاثاء و جمعة .

و عند اختيار وجبة الغداء و تجهيزها تتبع بعض القواعد بدقة تامة ، فجميع أنواع الطعام تطبخ بزيت الزيتون فقط ، و تستبعد تماما زبدة الغنم و البقر و لحم الخنزير و الجبن . فهم يتناولون وجبة السمك بكثرة ، بما في ذلك سمك القرش المقرف [1] . و يبدأ الغداء و ينتهى بشرب القهوة ، بينما ينتهي العشاء بشرب القهوة . و تقوم الأسر اليهودية بإعداد العجين في البيوت مقتصرة في ذلك على دقيق السميد الأصفر المستورد ، ثم ترسل العجين إلى الأفران العامة كي يخبز .

أما يوم السبت فإنه في كل مرة يدخل تغييرا تاما غبى الحياة اليهودية . إذ منذ غروب شمس الجمعة و حتى غروب شمس السبت تكون حياة اليهود معطلة تماما ، ما من أحد يشعل نارا . و هم يحضرون قهوة الصباح على يد رجل غير يهودي ، و كذلك طعام الغداء فهم يحضرون شخص غريب عن طائفتهم لإشعال النار ، و غالبا ما يكون فقيرا يأتون به من الشارع ليحصل على رغيف خبز . و ما من يهودي يدخن او يلمس النقود طوال أربع و عشرين ساعة .

كما أن اليهودي بعيد كل البعد عن التسامح إزاء اتباع الديانات الأخرى . فهو لا يظهر احتراما للمسلم بل يعتبره في درجة أحط منه بكثير ، إلا أنه يخشاه باعتباره يمثل العنصر الحاكم . أما بالنسبة للوضع الاجتماعي لليهود فقد شهد تحسنا ملموسا في العقود الأخيرة ، وكان ذلك نتيجة للتغلغل الأوروبي و لنفوذ التحالف اليهودي [2] .

3 . طباع أهالي طرابلس الغرب :

يتسم السكان بالهدوء و الوقار في تصرفهم ، فأهلها كانوا معروفين بحسن السمعة ، و جمال الخلق ، و التجمل في اللباس ، و حسن الصور و القصد [3] . فلا يسمع ضجيج في شوارع المدينة ، و حتى في الأسواق يجري العمل دون صياح أو جلبة . و لا يميل الطرابلسيون إلى المزاح إلا في الحدود ، ولا تجري في ألسنتهم كلمة بذيئة سواء في الأماكن العامة أو التجمعات الخاصة . و قد اشتهر الطرابلسيون ، بإحساسهم المرهف ، و هم شديدو التمسك بالكرامة و عزة النفس و يروى بهذه المناسبة ، أن مصريا قابل طرابلسيا و قال له : " إنكم شعب كامل الصفات لولا ..... " و قبل أن يتم المصري كلامه ،

قاطعه الطرابلسي محتدا : " لولا ماذا ؟ "

---

[1] إفالد ، بانزة ، طرابلس مطلع القرن العشرين ، ت : د . عماد الدين غانم ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، 1997 ، ص 119 .

[2] نفس المصدر ، ص 121 .

[3] خليفة محمد ، التليسي ، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب و الأجانب ، الدار العربية للكتاب ، ط 2 ، 1997 ، ص 26 .

فأجاب المصري : " لولا هذا " (مشيرا إلى الغضب) [1].

و الشعب الطرابلسي نظيف ، و عادة البصق في الطرقات و الأماكن العامة ليست منتشرة بينهم كما هي بعض البلدان ، و قلما تجد بينهم حافيا مهما كان فقيرا ، حتى الفقراء منهم يحاولون الاعتناء بمظهرهم و لباسهم بقدر ما تسمح به ظروفهم . و عادة المصافحة باليد منتشرة في طرابلس الغرب ، و كذلك عبارات التحية المعروفة في الشرق .

و الليبيون عموما شديدو خصوصا في المدن و القرى ، بعزلة المرأة . فلا تغادر المرأة الطرابلسية منزلها إلا في الأحوال الضرورية ، مستترة بحجاب كثيف ، كما انها لا تشترك في أي نشاط اجتماعي ، و لا تشارك الرجل في الحياة العامة أو في المهن و التجارة بالنسبة للمرأة في المدينة . عكس المرأة في الريف.

و جرت العادة أن لا يتقابل الرجل مع أصدقائه في بيته ، خوفا من أن يلمح صديقه زوجته . إلا أن بعض العائلات تفرد في منازلها غرفة خاصة تسمى (غرفة السقيفة) إذا كانت في الدور العلوي للمنزل ، أو (المربوعة) إذا كانت في الدور الأرضي . و هذه الغرفة عادة ما تكون منعزلة عن سائر المنزل ، يستقبل الرجل فيها ضيوفه فيجلسون للحديث و السمر حتى ساعة متأخرة من الليل [2] .

و من أبرز خصال الطرابلسيين ، و الليبيين عموما ، الحياء الفطري و التأدب المطلق في حضرة الكبير سواء كان أبا أو أخا أو غير ذلك . و قد جرت العادة لهذا السبب أن لا يتناول الابن الطعام مع زوجته غي حضور والديه أو كبار إخوته ، و البعض لا يتناول الطعام مع زوجته إطلاقا حتى و لو كانا على انفراد . و لهذا السبب أيضا لا يمكن للشاب أن يدخل غرفة نومه على مرأى من أبويه و كبار عائلته ، كما أنه يخرج مبكرا قبل استيقاظهم [3].

أما معاملته مع الغير فتكون كالتالي :

أ - الجار :

يهتم المجتمع بالجار و تكثر الامثال و الحكم الموصية بحسن المعاملة و مراعاة أحاسيس الجيران ، و تستمد هذه الامثال و الاقوال من الوصايا الدينية و التقاليد العربية الاصيلة

فالجار له حرمته و آداب بمعاشرته فمن اللائق أن تعامله بما تحب أن يعاملك به و لا بد من المسايرة و تحمل ضريبة الجيرة، و من بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

- دير ما يدير جارك والا قلع باب دارك هدا ما أشار إليه الشاعر العربي القديم .

- دارهم ما دمت في دارهم و أرضهم ما دمت في أرضهم و هذه الكلمة الدائرة علي ألسنة الناس .

- الجار أولي بالشفعة .

[1] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 196 .

[2] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 197 .

[3] المصدر نفسه ، ص 198 .

وهي قاعدة عرفها فقهاء التشريع وسنة من الآداب الشرعية و من تصويرات الامثال.

و يردد المواطن في ليبيا كلمة تنسب الي الرسول صلي الله عليه و سلم قائلا :

- الرسول وصي على سابع جار .

و يروي أقاصيص عن معاملة الرسول صلوات الله عليه لجاره الذمي و غيره [1] .

ب – الضيف :

من بين الأمثلة التي يتداولها المجتمع الليبي بصفة عامة ، و المجتمع الطرابلسي بصفة خاصة حول الضيف هي كالتالي :

- حكم الضيف في يد المضيف .

- ضيف و كلوفي .

- الضيف إكرام ثلاثة أيام .

- العزومة شد و أحلف .

- عشيناه بات عندنا .

- ليلة ضيفك أنسي فقرك .

هذه بعض من الأمثال المتعلقة بالضيف ، و الشعب الليبي مضياف يقدر الكرم و يكره البخل ، و هذه الأقوال تبين مدي نظرة المجتمع للضيف فيري أن " حكم الضيف في يد المضيف " ، ثم يري أن الضيف يجب أن يكون مهذبا غير متداخل في أمور لا تهمه ، فإذا كان الضيف ثقيلا ملحاحا يكثر من التساؤل و التدخل فيما لا يعنيه فهو" ضيف كلوفي " ، و من آداب الضيافة تكون ثلاثة أيام كما هو ضاهر في المثل إلا إذا كانت هناك ضرورة لازمة . ثم هناك من يعزم و يدعوا للاستضافة بعبارة سطحية عابرة " ارحم من زار و خفف " [2] .

و يقول الحشائشي في رحلته عندما رأى معاملتهم مع الغريب يقول عنهم : " أنهم لا يميلون الى الغرباء في أول الأمر و لم يذكر هذا الأمر إلا بعد تحققه منه ، أنهم إذا عاشروا الغريب أكرموه و اعتبروه كأنفسهم و كتب بيتين للفقيه ابي الحسن :

لأهل طرابلس عادة من البر تنسى الغريب الحميما

حللت بها مكروها ثم ذ اقمت بها أبدلوا الهاء ميما

[1] علي مصطفى المصراتي ، المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية ، دراسة في التراث الشعبي ، ط1 ، يوليو 1962 ، 138 – 139 .

[2] نفس المصدر ، ص 142 – 143 .

و أنهم شعب إنساني المسلك ولا يحمل من البربرية سوى الاسم [1]، و يحسن استقبال الأجنبي الذي يتمتع لدبهم بكل حرية ، و لا تلحقه إهانة أو احتقار و اذا حدث أن تعرض لذلك ففي وسعه أن يلجأ الي القضاء حيث يلقى العدل و الانصاف . و القناصل محترمون جدا و خاصة قنصل إنجلترا الذي يحظى بتقدير أكبر من غيره [2] .

كما وصف البكري المتوفى سنة 487 هـ مدينة طرابلس بوصف هام ، فقال في وصف أهل طرابلس " أن أهلها من أحسن خلق الله معاشرة و أجودهم معاملة و أبرهم بغريب " [3] .

4 – العادات و التقاليد :

تتميز كل المجتمعات حول العالم بعادات و تقاليد خاصة تتباين و تختلف من مجتمع الى اخر باختلاف المناطق و الحالة المادية و الطبقة التي ينتمي إليها السكان ، و هي عبارة عن مورثات يعود أصلها إلى نشأة الإنسان ، فنجد أن العادات و التقاليد الخاصة بالمناسبات كافة تختلف من مكان إلى اخر ، و للتعرف على عادات و تقاليد المجتمع الطرابلسي ، نستعرض ما يلي :

أ . لباس أهالي مجتمع طرابلس :

1 . لباس الرجل الطرابلسي : يرتدي أهل طرابلس نوعين من اللباس ، أحدهما طويل و يلبسه كبار السن و ذوو مكانة ، و الاخر قصير و يلبسه عامة الناس [4].

- اللباس القصير : لباس الرجل يتألف من " السورية " ، أي القميص و هي قميص يلتصق بالصدر ، به فتحات عند الرقبة و الذراعين تشبه اللباس الذي يلبسه البحارة . و السروال الفضفاض [5]، و كلاهما مصنوع من الكتان أو " البفتة " البيضاء . و الأغنياء يلبسون فوق السروال سروالا اخر من الصوف " الجوخ " من أي لون . و فوق السورية يلبسون " الفرملة أو صديرية ثانية " مفتوحة عند الصدر و موشاة بالذهب و محلاة بالأزرار من الصوف ، و " زبون " [6] أي جاكته من الصوف أيضا . و فوقها يرتدي الرجل " الحولي " المصنوع من الحرير الممزوج بالصوف دقيق الغزل ، أو من الصوف النقي ، و يكون لونه في

[1] خليفة محمد ، التليسي ، مرجع سابق ، ص 120 .

[2] محمد بن عثمان الحشائشي التونسي ، رحلة الحشائشي الى ليبيا سنة 1895 « جلاء الكرب عن طرابلس الغرب » ، تقديم : علي مصطفى المصراتي ، دار لبنان ، بيروت ، 1965 ، ط 1 ، ص 66 .

[3] خليفة محمد التليسي ، مرجع سابق ، ص 27 .

[4] ليون ، جون فرنسيس ، من طرابلس الى فزان 1818 – 1820 م ، ترجمة مصطفى جودة ، طرابلس ، (تونس : الدار العربية للكتاب ، 1976 م) ، ص 10 .

[5] السروال يصنع من الحرير أو القطن تبعا لمكانة لابسه . ليون جون فرنسيس ، نفس المصدر ، ص 11 .

[6] الزبون و هي سترة أو جاكيته ذات أكمام مطرزة و تلتقي القطع الثلاثة (الصدرية و الفرملة و الزبون) بالسروال عند الوسط حيث حزام عريض من الحرير أو الذهب . و تغطي الزبون صديرية أخرى دون أكمام تسمى صديرية . ليون جون فرنسيس ، نفس المصدر ، ص 10 – 11

العادة أبيض أو أحمرا أو ترابيا [1] ، أما في المناسبات فيلبسون عباءة أخرى مطرزة و موشاة بالذهب يسمونها " البرنس " [2] .

- اللباس الطويل : يتكون من الصدرية و الفرملة و يلبس فوقهما " قفطان " و هو رداء فضفاض طويل مطرز عند الصدر و الاكمام " و يلبسون فوقه " بنيعيش " و يشبه القفطان في الشكل ، و يختلف عنه في مواضع التطريز . و هناك أيضا ما يسمى "الجبة " و هي عبارة عن قفطان ذي اكمام قصيرة ، يلبس غالبا بدلا من "بنيعيش " .

و فوق هذه الملابس جميعها يلبس " برنس " من الصوف أو القطن . أما غطاء الرأس فهو يختلف حسب ذوق لابسه ، فربما كان شالا من الكشمير أما العمائم الخضر منتشرة ولا يلبسها سوى الشرفاء الذين ينحدرون من نسل النبي [3]. أو يضع على رأسه طاقية أو طربوش مغربي أو قلبق أسود اللون [4] .

و عند السفر يلبسون أحذية مغربية حمرا أو صفرا ذو نعل من الجلد ، و يلفون شريطا حول الكاحل لحماية الكاحل القدم من ضغط الركاب ، و تخلع هذه الأحذية في العادة عند أبواب الحجرات قبل الدخول ، و هناك أيضا النعال الحمراء و يلبسها رجال الطبقة المتوسطة .

أما زي رجال اليهود حسب وصف إفالد بانزة أن الرجل يميل نحو النمط الغربي ، حيث يرتدون المعطف الطويل وهو لباس إفرنجي يسمى " الكبوت " ، و هو معطف للخروج ، أسود اللون و يلبس تحته السروال الأزرق السماوي ، و يلبس تحت السروال جوارب بيضاء و حذاء أسود و لا يلبسون سوى النعال السوداء ، و يضعون العمائم الزرق على رؤوسهم أو طربوشا تركيا ذا سطح مستوي [5] .

2 . لباس المرأة الطرابلسية : يتألف لباس المرأة الطرابلسية من قميص من الكتان ، يدعى " المريول " ، و سروال كبير فضفاض حتى القدم مصنوع من قماش مشجر ، و " سورية " أي قميص خارجي واسع الأكمام جدا ، مصنوع من نسيج من خيوط حريرية و فضية ، و صدر القميص مصنوع من الخيوط الفضية البحتة . و فوق السورية ترتدي المرأة " كردية " أو صديري ، لها أزرار كبيرة من الفضة الخالصة ، مصنوعة من قماش القطيفة ، المحلى بالخيوط الفضية المطرزة بأشكال هندسية و رسوم مختلفة . و فوق الكردية ، تلبس المرأة " الحولي " [6] و هو الرداء الخارجي ، و يصنع من الحرير أو الحرير المنسوج بخيوط الفضة . فإذا خرجت إلى الطريق العام ، لبست " الجرد " أو " الحرام " [7]، اللحاف أو الفراشية [8] و هو عبارة عن ملاءة كبيرة جدا تلتف بها المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها ،

---

[1] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 218 .

[2] محمود شاكر ، ليبية ، مصدر سابق ، ص 70 .

[3] جون فرنسيس ليون ، مصدر سابق ، ص 11 .

[4] محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص 70 .

[5] إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 115 – 116 .

[6] الحولي قطعة قماش كبيرة تنسح من صوف الغنم ، و غالبا ما يكون الحولي أبيض اللون ، أما البني فنادر . و بعض النساء تتخذه مقصبا بالأسود أو البني . و الحولي هو لباس الجنسين و لكنه يختلف في التصميم فقط . إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 79 .

[7] الحولي يسمى أيضا الحرام و يلبس في جنوب تونس . إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 79 .

[8] محمود شاكر ، ليبية ، مصدر سابق ، ص 70 – 71 .

فلا يبدوا منها شيء على الإطلاق [1] ، سوى عين واحدة يظهر من صاحبته [2] ، و الحولي لا يتنشر كثيرا خارج حدود الإيالة [3] .

و كانت الطرابلسية تلبس في أقدامها حذاء برقبة عالية يسمونه " الخف " ، و غالبا ما يكون لونه أصفر أو أحمر ، و حذاء اخر خفيف يشبه الشبشب اسمه " الصباط " ، و كلا الحذاءين مصنوع من الجلد السوداني الأحمر ، و أحيانا يوشون الحذاء الخارجي بخيوط الفضة و الذهب [4] . أما على الرأس ، فتضع المرأة الطرابلسية منديلا من الحرير ، أو الحرير الموشى بالخيوط الفضية ، اسمه " تستمال " ، و يصنع من ألوان مختلفة [5] .

و بالنسبة للزينة التي تستخدمها المرأة الطرابلسية ، يستخدمون المسحوق الأسود لطلي الأجفان لكي يزيد من بريق العيون ، و تسوى الحواجب لتبدوا مستقيمة تماما و تميل قليلا عند نهايتها ، كما يستعمل الصبغ الأحمر بكثرة و تلبس الأقراط الذهبية و الفضية في الأذن و تتدلى قرب الكتفين كما تلبس الحلى و أساور الذهبية و الفضية في الأيدي و الارجل [6] .

إلا أن زي نسوة اليهود يختلف قليلا عن لباس نساء المسلمين ، في لباس الخروج فقط ، حيث يكشف لباسهم عن العينين معا عوض الكشف عن عين واحدة . و تعصب رأسها بقطعة حرير ملونة (محرمة) على سكل مثلث ، و تزين رقبتها بليرات ذهبية نمساوية تتناسب مع غنى الشخص و قيمته [7] و لا يلبسن النعال السود أو الصفر و محرم عليهم لبس الحذاء ذي الرقبة الذي يتخطى الكاحل [8] .

ب . العادات الغذائية :

ارتبط غذاء السكان بحياتهم اليومية، لذلك نجد اختلافاً في نوعية الغذاء من مكان إلى آخر، بل من أسرة إلى أخرى تبعاً لوضعها الاقتصادي والاجتماعي، لكن عموماً تم تشخيص عوامل أساسية ثلاثة تلعب دوراً هاما في نوعية غذاء السكان، وسنحاول تسليط الضوء عليها وهي كالتالي :

1) العامل الجغرافي :

لعبت الظروف المناخية، المتمثلة بغزارة الأمطار الشتوية، واعتدال مناخ الولاية، دوراً بارزاً في التركيز على زراعة الحبوب والتي كان من أبرزها القمح والشعير والذرة، فضلاً عن البقول مثل الفاصوليا والحمص والفول، وكانت هذه المحاصيل، وبشكل خاص الحبوب، تدر ربحاً على المزارعين أكثر من

[1] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 217 .

[2] جون فرنسيس ليون ، مصدر سابق ، ص 19 .

[3] إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 79 .

[4] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 218 .

[5] مصدر سابق ، ص 218 .

[6] جون فرنسيس ليون ، مصدر سابق ، ص 19 .

[7] إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 116 .

[8] نفس المصدر ، نفس الصفحة 19 .

غيرها إضافة إلى جهل الأهالي بالقيمة الغذائية للخضر والفواكه، واعتمدوا على الحبوب بشكل رئيسي، إن لم نقل أساسي في الغذاء مقارنة بالمواد الغذائية الأخرى [1] .

لذلك نجد أن الحبوب تدخل في أهم أصناف الأطعمة التي عرفتها الولاية مثل الكسكسي [2] ،

والبازين [3] و الخبز، والتي عُدّ تناولها وخاصة في الأعياد والمناسبات جزءاً من التراث الذي يتم توارثه من جيل إلى آخر لدرجة يصعب معها تغير هذا التراث من خلال الاستغناء عن هذه الأصناف الغذائية غير المفيدة صحيا بأخرى أكثر فائدة وذات قيمة غذائية عالية .

2) العامل الاقتصادي :

من خلال استقراء الوضع الاقتصادي للولاية نجد أن النسبة الكبرى من الأهالي كانت ذات دخل محدود جداً ، لا يكاد يسد احتياجات الأسرة الضرورية ، و هذا ينطبق بشكل واضح على طبقة الفلاحين التي كانت تعيش على مردود الأراضي الزراعية، و التي بدورها مقتصرة على هطول الأمطار التي تزيد او تقلل من نسبة المحاصيل الزراعية ، و كانت الحبوب من أبرز هذه المواد لاسيما الذرة والشعير اللذان شكلا غذاءً متميزاً للأهالي لرخص ثمنهما مقارنة بالقمح والبقول اللذان كانا أغلى ثمناً ، وشكلا غذاءً للأسر المتوسطة [4] .

3) العامل الاجتماعي :

تلعب العادات والتقاليد والأعراف المتوارثة دوراً في تحديد نوعية الغذاء الذي يتناوله الأهالي، لذلك نجد اختلافاً واضحاً في نوع الغذاء من بلد إلى آخر، بل من مدينة إلى أخرى داخل البلد الواحد، وفي ولاية طرابلس الغرب نلحظ اهتمام الأهالي بغذاء يومي الجمعة والثلاثاء لعقد الأسواق في هذين اليومين ، فيتناول الأهالي خلال هذين اليومين أصناف غذائية متميزة مثل اللحم [5] و الكسكسي والبازين ، و يختلف الأمر من منطقة إلى أخرى حسب عقد الأسواق التي تعقد في بعض المناطق يومي الأحد و الأربعاء أو الاثنين و الخميس و تأتي أهمية هذه الأسواق من خلال مشاركة أعداد كبيرة من الأهالي بعملية البيع والشراء مما يؤدي إلى انخفاض الأسعار نتيجة المعروض الكبير من السلع الزراعية [6] ، و هناك عادات غذائية ارتبطت

---

[1] أ .م.د. وفاء كاضم ماضي الكندي ، قراءة في الأحوال الصحية و العادات الغذائية بمجتمع طرابلس الغرب (1835-1911 م) ، مجلة كلية التربية الأساسية / جامعة بابل ، العدد 13 ، أيلول 2013 م ، ص 674 .

[2] الكسكسي : من أشهر الأكلات في المغرب العربي يصنع من دقيق القمح الذي يحول إلى حبات صغيرة تشبه (البرغل) ويطبخ على البخار، وبعد نضوجه يضاف إليه مرق اللحم والخضار ، و قليل من الزبد أو الشحم ، و إذا غاب اللحم يعوضه كمية كبيرة من الفلفل الأحمر .

[3] البازين : من أشهر الأكلات الشعبية التي تزين الموائد في الأعياد والأفراح يصنع من دقيق الشعير أو القمح المغلي ويقدم بشكل هرمي (كتلة من العجين المطبوخ) ويحاط بالمرق واللحم ويؤكل بالأيدي عن طريق خلط الدقيق المطبوخ بالمرق . جون فرنسيس ليون ، مصدر سابق ، ص 42 .

[4] وفاء كاضم ماضي الكندي ، مرجع سابق (مجلة) ، ص 674 .

[5] يعدونه بطرق عديدة ، مشويا أو مسلوقا أو محمرا . كما يعدون نوعا أخر من اللحم يستخدمونه في رحلاتهم و يعمدون الى طريقة بارعة في حفظه ، فيقطعونه الى شرائح صغيرة تجفف في الشمس ، و تقلى بعد ذلك بقليل من الدهن . جون فرنسيس ليون ، مصدر سابق ، ص 42 – 43 .

[6] إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 151 .

بمناسبات معينة ، على سبيل المثال في الأعراس فنجد وجبتي الكسكسي و البازين تتصدران موائد الأعراس بل و حتى المآتم [1] .

كل هذه العوامل ساهمت بشكل أو بآخر تحديد نوعية و كمية الغذاء الذي يتناوله الفرد ، و بالتالي نجم عن ذلك مشكلات أساسية في الغذاء ، سببت مع مرور الوقت مشاكل بارزة في طبيعة غذاء سكان الولاية ، و بالتالي نجم عنها مشاكل صحية ، وسنحاول التركيز على أبرز ما يتناوله أهالي طرابلس الغرب.

1 – المأكولات الدسمة : اعتاد الأهالي ، من سكان المدن بشكل خاص ، تناول المأكولات الدسمة مثل الرز والكسكسي والبازين في وجبة العشاء ، التي تعد الوجبة الرئيسية لهم ، والسبب في ذلك أن الحرفيين وأصحاب المحالات يبدأ عملهم من الصباح حتى غروب الشمس لذلك تكون عودتهم لمنازلهم ليلاً ، فيتناولون هذه الأطعمة الدسمة ليلاً يصحبها تناول الشاي [2] .

غير أن هذا التقليد قد تغير بمرور الوقت و أصبح مقتصراً على المناسبات خاصة كشهر رمضان و في الأفراح و المآتم ، ويكاد هذا التقليد يكون واحداً بعموم مناطق الوطن العربي التي تزخر موائدهم في شهر رمضان وفي مناسبات الأفراح بالأطعمة الدسمة والمتنوعة .

2 – تناول البقوليات : من العادات الحسنة في غذاء أهالي ولاية طرابلس الغرب هي تناول البقوليات مثل الفول والحمص والفاصوليا والبازلاء وغيرها من البقوليات التي تدخل في كثير من الأطعمة المطبوخة ، و هذه العناصر تغني عن تناول اللحوم الذي لم يكن باستطاعة الكثير من العوائل تناوله لغلاء ثمنه مقارنة مع الأغذية الأخرى [3] .

3 – الخبز الأسمر : (خبز الشعير) يتناول عدد كبير من سكان الولاية الخبز المصنوع من دقيق القمح الأسمر ودقيق الشعير، و بشكل خاص في المناطق الريفية ، وهذا النوع من الخبز يكون ذا قيمة غذائية عالية تفوق الخبز الأبيض لاحتوائه على نسبة أكبر من البروتين والحديد والكالسيوم ، ينصح بتناول الخبز الأسمر للمصابين ببعض الامراض مثل: مرض السكري .

4 – التمر : التمر من الأغذية المتوفرة و الرخيصة الثمن ، ويعد من أهم الأغذية التي يتم تناولها في السفر باعتباره غذاءً مشبعاً و مغذياً في الوقت ذاته ، و يكتفي سكان البادية بأكل التمر وحده أياماً عديدة مع قليل من اللبن أو الماء ، لما يحمله من فائدة كبيرة ، فهو يسد جانب كبير من النقص الموجود في غذاء الأهالي ، و للنخلة مكانة مقدسة لدى السكان ، خاصة سكان الجنوب ، فهم يمجدونها لدورها الكبير في حياتهم اليومية و قد ذكرها في العديد أمثالهم الشعبية ، منها المثل القائل (بر بلا نخلة ، سرعان ما يخلا) ، فضلاً عن الأمثال فإن الشعر ساهم في بيان أهمية النخلة ، فقال أحد الشعراء [4] :

---

[1] وفاء كاضم ماضي الكندي ، مرجع سابق (مجلة) ، ص 675 .

[2] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 33 .

[3] وفاء كاضم ماضي الكندي ، مرجع سابق (مجلة) ، ص 677 .

[4] مرجع سابق (مجلة) ، ص 678 .

إذا كان ولدك جيعــان إغرس ليه البستــان [1]

و اعتاد الأهالي الإكثار من تناول الفلفل الحار و إدخاله في عدد كبير من أصناف الأطعمة التي يعدونها و التي كانت تتميز بحرارتها الشديدة [2] .

و من الأكلات التي كانت منتشرة في مجتمع طرابلس غير التي ذكرناها وهي :

" الدويدة – العطيلة – المقطع – الزميطة (الزوميته) – الرشتة – الفتات " .

و هناك أطعمة أخرى خاصة بالمواسم مثل عاشوراء ، عيد المولد النبوي الشريف ، عيد الفطر و عيد الأضحى [3] .

و الحشائشي يقول " لحوم البلد و فواكهها و غلاتها جميعها طيبة ، و فيها من كل ما خلق الله لعباده من أصناف النعم بثمن متهاون ، يعظم فيها الدلاع (البطيخ الأخضر) الى أمر عظيم بحيث ان الجمل لا يمكنه حمل دلاعتين الا بمشقة و هو في غاية الحلاوة مع لذاذة الطعم " [4].

و فيها كمية وافرة من الثمور و أنواع الفواكه و الحمضيات اللذيذة التي تنتجها البساتين طوال العام أو أغلب العام أجمل المناظر و ألطفها [5] .

و في سنه 1882 حل بالبلاد جفاف مرعب ، نتيجة لقلة الأمطار فأصبحت حياة الناس نوعا من المأساة و أصبح طعامهم يتمحور على البقول و التين و التمور ، و صارت سنة 1882 م سنة أسطورية ، عرفت بين السكان " بعام الدقيق " ، لتدخل الباب العالي و ارسال مساعدات لسكان طرابلس الغرب ، و قد بدا هذا الأمر حدثا غير عادي . و قد اتخذ العرب من هذا العام الفريد قاعدة أساسية يؤرخون بها لمواليدهم و وفياتهم و أحداثهم الكبرى [6] .

---

[1] البستان : نوع من شجر نخيل البلح .

[2] وفاء كاضم ماضي الكندي ، مرجع سابق (مجلة) ، ص 675 .

[3] جون فرنسيس ليون ، مصدر سابق ، ص 42 – 43 .

[4] محمد بن عثمان الحشائشي التونسي ، مصدر سابق ، ص 68 – 69 .

[5] خليفة محمد التليسي ، مصدر سابق ، ص 122 .

[6] فرانشسكو ، كورو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، تعريب و تقديم : خليفة محمد التليسي ، طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، ط 1 ، 1971 م ، ص 18 – 19 .

أما بالنسبة للشراب :

- الشاي : يعد شرب الشاي أو ما يعرف في الولاية باسم: (الشاهي) من العادات المتوارثة التي تحرص معظم الأسر على تناوله بشكل دائم وثابت بعد وجبات الطعام أو في جلسات السمر، وهذه العادة الغذائية دخلت عنوة نهاية القرن التاسع عشر وفرضت وجودها بقوة، كما يشير لذلك عدد من المؤرخين [1].

ومع بداية معرفة الأهالي لشرب الشاي لم يكن عادة يومية، لغلاء ثمنه، بل كان يحضر في مناسبات خاصة أو عند حضور ضيف متميز، ففي بعض الأحيان تمر أشهر لا يتم فيها إعداد الشاي، لكن مع تقدم الوقت أصبح الشاي من العادات اليومية حتى وصل معدل شرب الشاي خلال الجلسة الواحدة من ثلاثة إلى سبعة أدوار أي سبعة مرات [2] .

ويعد الشاي من المشروبات الدافئة والتي بها فائدة ، والشاي كان متواجداً بصنفين الأسود والأخضر[3].

- الحليب : يعد الحليب غذاءً كاملاً بحد ذاته ، خاصة للأطفال والنساء الحوامل والمرضعات ، وعادة شرب الحليب وجدناها منتشرة بين سكان الأرياف والبدو ، حتى أنهم يعدونه مع التمر غذاءً متكاملاً يقدم لضيوفهم القادمين لزيارتهم بشكل مفاجئ فلا يحتاجون إلى غذاء آخر [4] ، أما سكان الصحراء فيدخلونه في أنواعاً متعددة من أطعمتهم ، فهم يطهونه مع الدقيق لعمل حساء ، أو يشربونه مع التمر ، و في أحيان أخرى يعملون منه اللبن الذي يتناولونه مع الأرز أو كسكسي القمح أو كسكسي الشعير (الملثوث) [5] ، و لكن مع الأسف فإن عادة شرب الحليب كانت قليلة الانتشار في المدينة إلا بكميات محدودة .

أما القهوة فكانت أقل انتشارا ، و هناك شراب أخر يستخرج من النخيل يعرف باسم " الاجبي أو لاقبي " [6] و هو شراب يتلف عقل شاربه ، و يؤدي به الى حالة من الجنون ، و يجعله خطيرا على الغير [7] .

---

[1] صالح بن دردف ، دور الشاي أو الشاهي في حياتنا الاجتماعية ، مجلية التراث الشعبي ، السنة الثامنة عشر، العددان 3 و 4 ، طرابلس ، 1998 ، ص63 – 64 .

[2] سالم عبد الله الفلاح ، الشاهي في حياتنا الاجتماعية ، مجلة التراث الشعبي ، السنة التاسعة عشر، العددان 3 و 4 ، طرابلس ، 1999، ص62 .

[3] وفاء كاضم ماضي الكندي ، مرجع سابق (مجلة) ، ص 676 .

[4] ، نفس المرجع (مجلة) ، ص 677 .

[5] محمد سعيد ، القشاط ، الطوارق عرب الصحراء الكبرى ، الطبعة الثانية ، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء ، ليبيا ، 1989، ص 84 .

[6] لاقبي : مشروب يستخرج من شجرة البلح لمدة شهر عادة . بمعدل غالونين في اليوم ، و ذلك بأن تحفر الشجرة من رقبتها العليا فيخرج السائل من الخفر ، و توضع أباريق في عنق الشجرة لأخذ السائل . و يمكن القيام بنفس العملية خمس أو ست مرات و بعدها تموت الشجرة ، و من ثم تحول إلى جذوع من خشب لغرض لاستعمالها في المنازل .

[7] محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص 71 .

ج – المناسبات الاجتماعية و الاحتفالات الدينية :

1 . المناسبات الاجتماعية : إن أهم ما يلفت النظر بمشاهدة ، حياة سكان طرابلس من العرب و اليهود ، هي تلك المناظر التي تتصل بالحوادث المهمة في حياتهم اليومية الخاصة .

*** مراسم الزواج :**

تختلف حفلات الزواج في المدن عما هي عليه في القرى أو الريف . كما أنها تختلف في مظاهرها بين عائلة و أخرى ، حسب درجة الثراء لكل منها . إلا أن القواعد العامة ثابتة لا تتغير .

و تبقى احتفالات الزواج – عادة – مستمرة مدة خمس أيام . فترسل الدعوات لحضور الاحتفال في يوم الخميس السابق لعقد القران ، عندما يكون الاتفاق قد تم على المهم ، وهو يتراوح عادة بين 50 و 200 جنيها حسب العائلة . و على العريس أن يرسل إلى بيت العروس صباح يوم الاتفاق خروفا ربط برقبته منديل من الحرير و معه بعض الهدايا لأهل العروس [1].

و ابتداء من يوم الاثنين ، تقام الاحتفالات في بيت العروس . فتستقبل العروس صديقاتها اللواتي جئن للتهنئة ، و يقضين الوقت في السمر و الطرب . و في اليوم التالي (ليلة الأربعاء) يذهبون بالعروس إلى الحمام ، و بعد العودة إلى البيت تحضر " الزيانة " و تضع الحناء على يدي العروس ، وتدعى تلك الليلة " ليلة الحنة الصغرى " . وفي اليوم التالي (الأربعاء ليلة الخميس) تستمر عملية تجميل العروس بالحناء و غيرها ، و تدعي هذه الليلة " ليلة الحنة الكبرى " . و في ليلة الجمعة ، بعد أن تكون قد تمت عمليات الزينة و التجميل ، تزف العروس بكامل ثيابها في عربة مقفلة إلى منزل العريس يرافقها أقربائها و صديقاتها ، و تتبع الموكب عربة تحمل الموسيقيين و المغنيين . وفي ليلة الدخلة ، يكسر أحد مرافقي الزوج قلة [2] ملآنة بالماء عندما يدخل الزوج المنزل لأول مرة ، تفاءلا بالأمان والألفة ، وكناية عن " كسر الشر".

و يحيي الاحتفال عادة خلال أسبوع الاستعداد للزواج ، راقصات و مغنيات محترفات يسمون " زمزمات " . و تقدم المأكولات و الحلويات ، كما يقدم شراب خاص مصنوع من اللوز المدقوق بالسكر و الماء اسمه " روزاتا " [3] . و يوم عقد القران ، يقدم الروزاتا و علب الملبس باللوز .

و في يوم الجمعة – صباحية ليلة الدخلة – " المحضر " ، تظهر العروس أمام المدعوات بأجمل ملابسها و زينتها ، و تغير ملابسها أمامهن أربع أو خمس مرات ، و بعد مرور سبعة أيام على يوم الدخلة ، تقيم العروس في بيتها الجديد " السبوع " ، تقدم فيها الأطعمة ، الحلوى ، و يقام السمر و الرقص و الغناء على دق الطبول . كما تقيم حفلة مماثلة يوم الأربعين .

---

[1] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 208 .

[2] كسر القلة تعني أن الرجل هو رئيس البيت و صاحب الأمر النهي فيه ، و الماء معناه الأمانة و الإخلاص .

[3] روزاتا : كلمة إيطالية ، استخدمها الطرابلسيون قبل الاحتلال الإيطالي يقدمونه في الأفراح " الشربات " المعروفة في الشرق .

و العروس لا تشتغل خلال الأسبوع الأول من الزواج بأي عمل في بيتها الجديد ، إذ تنوب عنها صديقاتها و قريباتها بذلك [1] .

و قلما يتزوج الطرابلسيون أكثر من واحدة ، و لا يجمعون بين أكثر من إثنين إلا في النادر ، كما ان حوادث الطلاق في طرابلس قليلة بالنسبة لبعض البلاد الإسلامية الأخرى .

أما الزواج في البادية : حيث الحجاب أقل شدة من المدن ، فإن العريس يلاقي عروسه و يقارعها الشعر ، خاطبا ودها عن هذا الطريق . فإن نشأت الألفة بينهما خطبها من والدها ، و حدد المهر نقدا أو ماشية أو حبوبا أو من جميع هذه الأشياء . و في اليوم الثالث للزواج ، يقام احتفال كبير يتسابق فيه الفرسان أمام المجتمعين ، و إطلاق النار في الهواء زيادة في الترحيب و التمجيد للعروسين [2] .

الزواج في القرية : يعتبر الزواج أمرا هاما في حياة الفرد و الأسرة ، فهو من العوامل التي تربط أو تساعد على ربط وحدات اجتماعية ، كالعيلات و اللحمات و القبائل ببعضها البعض ، و من الظواهر البارزة في المجتمع الريفي ، كغيره من المجتمعات الريفية و البدوية العربية تفضل الزواج من بنات العم ثم القريبات الأقرب من جهة الأب ثم من جهة الأم ، و ذلك يعود لأسباب منها عصبية سياسية حيث يضمن الزواج ببنات العم أو القريبات بالدم ، ترابط العائلة ووقوفها صفا واحدا في المنازعات الداخلية و الخارجية كما يساعد على توسيع القبيلة أو اللحمة ذات دم واجد ، المؤلفة من أسر عديدة ، و هناك أيضا أسباب اقتصادية اذ يضمن بهذا الزواج حفظ الأملاك و الأراضي في عائلة واحدة و تجنب دفع مهور مرتفعة [3] .

و كان لا يتم زواج أي فتاة من غير ابن عمها إلا إذا كان لا يوجد ابن عم لها أو أن هذا الأخير أعلن عن عزوفه الزواج من بنت عمه ، و عموما فإن اختيار الزوجة في الريف مرهون بعوامل اقتصادية و اجتماعية و عصبية ، أما عوامل الجمال و الحب و الإعجاب فهي تحتل مرتبة هامشية ، كما يستغل الزواج سياسيا للربط بين القبائل . و من أمثالهم في هذا الخصوص " نسيب و لا ابن عم قريب " .

و تتم الخطبة بحضور شيخ القبيلة و الإمام أو أحدهما ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أشهروا الزواج و اخفوا الختان فإن زواج الخفاء متعة " [4] . و يفصل في هذا اللقاء بالمهر [5] و ترتيبات الزفاف و تحديد موعده ، و يصطحب أهل الشاب معهم ما يسمى في بعض الجهات " بالقضية " ، و هي قفة فيها بعض المواد التموينية (شعير ، قمح ، تمر ، لحم ....) كما تتواصل هدايا الشاب إلى خطيبته في المناسبات الدينية طيلة فترة الخطوبة ، و في حفل عقد الزواج الذي يدعى إليه جميع أهل القرية و يتصدره شيخ القرية و وجهائها ، يتولى القاضي أو وكيله أو من ينوب عنهما عملية عقد القران بعد صلاة عصر يوم

---

[1] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 209 .

[2] المصدر نفسه ، ص 210 .

[3] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 42 .

[4] كاكيا ، أنتوني جوزيف ، ليبيا في العهد العثماني الثاني 1835 – 1911 م ، تعريب و تقديم : يوسف حسن العسلى ، طَ، طرابلس : دار الفرجاني ، 1975 م ، ص 73 .

[5] كان مهر العروس لا يشكل مشكلة و يترك أمر تحديده لأهل الشاب ، فقد كان مهر البنت البكر 10 مرطات قمح و 56 مرطة شعير (المرطة تعادل حوالي 14 كغ قمح و 17 كغ شعير) و 3 جرات زيت و مائة قرش ، غير أنه في المدة الأخيرة بلغ المهر بين لأهالي : 56 مرطة قمح و 88 مرطة شعير و 10 جرات زيت و 10 رؤوس من الغنم و 400 قرش .

الدخلة أو قبلها بأسبوع أو أكثر ، و تنطلق الاحتفالات بهذا الزواج لمدة أسبوع كامل ، يبدأ الاحتفال يوم الاثنين و المتعارف عليه أن ليلة الدخلة تكون مساء يوم الخميس ، يفتح أهل الشاب منزلهم لجميع أهل القرية ، يقدمون لهم الطعام طيلة هذا الأسبوع ، و يكون بيت العروس مشغولا بإعداد الفتاة ، وكانت العادة أن توشم الفتاة على يد امرأة متخصصة (الوشامة) و هو صباغ أزرق يوضع فوق الذقن و على اليدين و يدوم مدى الحياة ، وهو كعلامة اجتماعية تميز المرأة المتزوجة عن البكر خصوصا في القرى و البادية ، و هي المجتمعات التي تسمح للمرأة بالعمل خارج المنزل في الحقل و المرعى ، كما أنه يستعمل كطريقة اجتماعية لإعداد الفتاة نفسيا لأخذ دورها كزوجة ، و يجري توشيم الفتاة قبل أسبوع من ليلة الدخلة ، يحمل أهل الشاب مهر العروس على جمل قوي يتدلى على جانبيه غرارتين ، فيهما القمح و الشعير و الزيت ، و غير ذلك مع الملابس التي قدمها العريس لعروسه ، و تدعى بالكسوة ، و يقاد الجمل إلى دار الفتاة وسط جمهرة من الرجال و النساء و هم يغنون و يرقصون ، و منذ بداية الأسبوع يأخذ الشاب لقب السلطان و ينادى به حتى اخر يوم من حفلات الزفاف . ثم تبدأ ليالي العرس المهمة التي ذكرناها سابقا [1].

و لمدة العشرة أيام الأولى عندما تكون الزوجة في بيتها الجديد ، فإن عريسها لا يزورها إلا بالليل و بالخفية لأن الشاب لا يقابل والده لعدة أسابيع بعد الزواج حياء و خجلا ، و يترك البيت مع الفجر ، و أحيانا الفتاة تبقى سنة تتفادى رؤية والدها ، و تبقى عروسا لمدة أربعين يوما و من ثم تنضم لأسرة الزوج و بعد ذلك تسير الحياة الزوجية كالمعتاد و تخرج للعمل مع زوجها و بقية أفراد الأسرة [2] .

و هناك عادة أخرى ، في مساء اليوم المحدد للزواج ، يتسلل أصدقاء العريس إلى مكان العروس لاختطافها ، فإذا تمكنوا من ذلك تم الزواج و أقيمت الأفراح ، و إذا استيقظت صديقاتها ، أسرعن للدفاع عنها بعصى الجريد الذي سبق تحضيره لهذا الغرض ، و تقوم بين الطرفين معركة حامية . فإن تغلبت النسوة ألغي الزواج و فقد العريس كل ما دفعه . و إذا تمكن الرجال من أخذ العروس بالقوة ، اجتمع أهل الطرفين و أقيمت الأفراح [3] .

و يقضي العروسان الليلة الأولى ساهرين حتى الصباح ، يتبادلان الحديث و الشعر و الفكاهة ، فإذا نام العريس تلك الليلة كان للعروس أن تذبحه ، و إذا لم ينم حاولت التسلل من البيت ، فاذا لم يمنعها من الخروج ، و استطاعت الوصول إلى جمله في الخارج ، قطعت له عرقوبه ، و معنى ذلك فسخ الزواج و عودة العروس إلى والديها . فإذا استطاع العريس أن يمنعها من الخروج تلك الليلة ، أصبح أهلا لها ، و أصبحت زوجته مادامت حية ، ولا يجوز الطلاق بعد ذلك مهما كانت الظروف [4] .

*** الختان :**

الختان من الشرائع البشرية القديمة و قد زكاه و أقره الدين الإسلامي و اختلفت المذاهب الإسلامية من بعد في حكمه إلا أنه ارتبط بكثير من ألوان الاحتفال و اذا كان الزواج عرس رجل فقد جعلت التقاليد من

---

[1] تيسير ابن موسى ، مرجع سابق ، ص 44 .

[2] د . رجب نصير الأبيض ، طرابلس الغرب في كتابات الرحالة خلال القرن 19 م ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ط 1 ، 2009 ، ص 255 .

[3] راسم راشدي ، مصدر سابق ، ص 217 .

[4] نفس المصدر ، ص 217 .

الختان عرس الطفل ، و كان في ذلك تأكيد لما بينهما من ارتباط إذ يبدأ كل منهما مرحلة جديدة من عمره . و قد أعطى بانزة وصفا لما يجري في الختان باعتباره شاهد عيان [1] .

و يمكن تلخيص مظاهر هذا العرس الخاص بالطفل في النقاط التالية :

- إعداد الأطعمة و الحلويات و المشروبات لمن يجتمعن من النسوة في بيت الطفل مع توزيع الأطباق على بعض الأسر مصحوبة ببعض الهدايا العطرية و الملابس .

إحضار عطرية الطهور في موكب من الموسيقى الشعبية . -

- ختان الطفل أو الأطفال و إكرام الخاتن (الطهار) و رمي النقود للأطفال المختونين من قبل الحضور.

و تتم عمليه الطهور عند الساعة الحادية عشر نهارا ، أي ساعة واحدة قبل غروب الشمس [2] .

*** زيارة الأضرحة :**

تنتشر أضرحة الأولياء بشكل واسع في معظم قرى ليبيا ، حتى أنه لكل قرية ولي تتبارك به ، و يغتنم سكان الريف في عدد من المناطق الأشهر الأخيرة من الصيف ، بعد أن أنجزوا حصاد و دراسة قمحهم و شعيرهم ، واطمأنوا على مؤونة السنة ، لينظموا أيام نزهة يمرحون فيها و يلهون ، و ذلك في زيارات متتالية الى أضرحة هؤلاء الأولياء ، و يتم التنسيق بين مجموعة من قرى المنطقة من المناطق [3] ، على تعيين يوم في كل أسبوع لأداء هذه الزيارات التي توثق من جهة علاقات التعارف و التكاتف بين سكان تلك المنطقة ، و من جهة ثانية تكون هذه الأيام متنفسا لهم و ترويحا على النفس حيث يقضونها باللهو و اللعب و الأكل ، كما أنها وسيلة للتصدق على الفقراء و المساكين أو الوفاء بالنذور للشيخ الصوفي صاحب الضريح ، شفاء لمريض أو عودة سجين أو أسير أو غائب ، أو إنجاب ذكر . و في صباح يوم الزيارة أو مساء اليوم الذي قبله ، تسير مواكب الناس الى مكان الضريح المتفق على الاجتماع عنده ، بإبلهم و خيولهم ، حاملين معهم الخيم و المفروشات اللازمة مع مواد الطعام و أدوات الطهي ، و تنتشر الأسر المشاركة ، ناصبة الخيم في مكان قريب من ضريح الولي ، و تنهمك النساء في إعداد الطعام ، بحيث يكون جاهزا وقت الغذاء و العشاء ، و يقدم في قِصاع الى الناس الوافدين من مناطق متفرقة خاصة الى الفقراء و المساكين ، الذين يجدون في هذه المناسبات فرصة لتناول أشهى المأكولات و أدسمها ، و ينطلقون الأطفال يمرحون طيلة هذا اليوم و تعقد النسوة بعد الانتهاء من اعداد الطعام ، جلسات غناء و رقص ، أما الشباب فيتبارون في سباق الخيل ، و يتجه الرجال الكبار الى مكان الضريح فيعقدون حلقة ذكر يتخللها ضرب على الدفوف (البندير) و يؤدي البعض منهم حركات غريبة اشتهرت بها الطريقة

---

[1] يقول بانزة في كتابه طرابلس مطلع القرن العشرين: " بينما يجري الطهور لدى اليهود في اليوم السابع من عمر الولد فإن هذا التحديد الهام متباين لدى المسلمين إن الأولاد الصغار يكبرون في رعاية النساء ثم عادة ما ينخرطون ما بين سن السابعة و التاسعة في جماعة من أفراد المجتمع ممن لهم اعتبار و يقوم الأب بذبح خروف بالمناسبة و تخبز الأم عددا كبيرا من أرغفة الخبز و تقدم الشاي و القهوة ، بينما يقلب الكسكسي و المحمصة و الدويدة و الرشدة في قصعات خشبية كبيرة . يطبخ الأرز و يشوى لحم الخروف على أسياخ صغيرة ، و تحضر النساء اللواتي يزغردن بصوت عال . عند الظهر يدخل الضيوف و يبدأ الاحتفال فتصدح موسيقى القرب و المقرون و تهدر الدربكة الكبيرة التي تعلق تحت الذراع و تضرب بالمضرب باليد اليمنى و في هذه الأثناء يرقص الرجال و يجعلون الطفل المحتفل به على ظهر حصان ، و يرافقه واحد أو اثنان من رفاقه على الخيل تتبعهم موسيقى و شباب و بنات في عربات مليئة .

[2] إفالد بانزه ، مصدر سابق ، 169 – 170 .

[3] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 46 .

العيساوية و الرفاعية الصوفيتين ، و يحرص الجميع على حضور هذا اللقاء الذي ينتظرونه بشوق ، قم يتواعدون على اللقاء في الأسبوع التالي في يوم يحددونه عند ضريح اخر [1] ، و هكذا حتى تتم زيارة جميع أضرحة أولياء المنطقة ، و تسود في هذه الأيام روح التسامح و تناسي الخلافات .

*** المآتـم :**

إن ليون في كتابه من طرابلس الى فزان يصف الدفن في طرابلس الغرب قائلا : " أما طقوس الدفن فلا شيء منها يستحق الذكر يوضع الجسد في النعش و يغطى بالقماش و تتلى عليه آيات من القران و يحمله أصدقاؤه و يودعونه على عجل و هم يتمتمون ببعض الجمل و الأناشيد الدينية . أما القبر فلا يميزه سوى قطعة من الحجر توضع عند مكان الرأس ، أما مراسم دفن النساء فلعلها أكثر إثارة و أبهة و تعقيدا . و لقد قدر لي أن أشهد جنازة ابنة الوزير و حفيدة السلطان ، و رأيت الناس يحملونها الى مثواها الأخير، وقد لفت بكفن أرجواني من قماش غال موشى بالذهب كتبت عليه بعض آيات من القران بخيوط من ذهب ، و عند الرأس وضعت باقة ورد و بعض حاجيات الفقيدة تغطي الكفن ، و خلف النعش تمشي النسوة يحملن باقات الزهور ، و على عكس أبهة ما يلبسنه في الأحوال العادية يلبسن ملابس قديمة و تبدو وجوههن خالية من الأصباغ و صدورهن خالية من الحلي ، و قد رأيت الوزير يتصدر الموكب بنفسه و على الرغم مما يشاع عن قسوته و غلظة قلبه ، فقد كان بادي التأثر و من عادة القوم في هذه المناسبات عتق عبد أو اثنين . كما توزع الأطعمة على الفقراء الذين يجتمعون بكثرة في مثل هذه المناسبات و تختلف هذه الأطعمة تبعا لقدرة أسرة الفقيد ، و تتباهى كل أسرة بالإنفاق على روح فقيدها . و هناك بعض النسوة اللاتي يذهبن الى منزل الفقيد ليبكين و يندبن و يطلقن الآهات و الصرخات ، و تستمر هذه الأحزان ثلاثة أيام ، و يبدوا أن الضجة التي يحدثنها لا تكفي فيقمن بدق الطبول و الأوعية الفارغة " [2] .

و يقول بانزه أن نسبة الوفيات ليست بالغة ، و إذا ما زهقت روح أحد منهم و ضعوه في حجرة و أغلقوا عليه الباب و يجتمع أقرباؤه و معارفه و يقرع المعزون الباب دون انقطاع ، وفي جميع الحجرات تجري معانقة ذوي المتوفى ثم يجلسون الى الحائط [3] .

فأفراد أسرة المتوفي تبكي و تولول ثلاثة أيام بأصوات مخيفة و بعد فترة قصيرة يغادر المعزون و هم يرددون كلمات العزاء " البركة في رأسك ، ما يدوم كان وجه الله " . و في اليوم ذاته يقوم شيخ بغسل الجثمان بالماء الساخن و يرش عليه عطر حنوط ، ثم يكفن و يوضع في تابوت خشبي يستعار من الجامع . إذا كان المتوفى رجلا وضعوا طربوشا فوق التابوت من جهة الرأس ، و إذا كانت امرأة وضعوا باقة من الورد الفواح . بعد ذلك يرفع الرجال التابوت على أكتافهم و يحملونه بحيث يكون الرأس نحو الأمام . يتقدم الموكب الشيخ و يتبعه الرجال في صف عريض و هم يرددون العبارات المناسبة بصوت واحد و إيقاع واحد .

و في طرابلس لم تجر العادة على إحياء ذكرى الأسبوع الأول أو يوم الأربعين للوفاة . ولا يبيت الطرابلسيون في المقابر ، بل يكتفون بالزيارة في أيام الأعياد و قراءة القران .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 47 – 48 .

[2] جون فرنسيس ليون ، المصدر السابق ، ص 19 و ما بعدها .

[3] إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 171 -172 .

و لا تلبس المرأة الطرابلسية ، بعد وفاة زوجها الملابس الزاهية أو الملونة ، ولا تتزين خلال مدة العدة (أي ثلاثة أشهر و عشرة أيام) . و يسمون المرأة الحزينة على زوجها " رابطة " .

و تكون الصلاة على الأموات غي أماكم خاصة يسمونها " مصلى " . و هي عبارة عن مساحة سماوية مسورة و غير مبلطة ، و لا يسمح بالصلاة على الموتى في المساجد [1] .

2 . الاحتفالات الدينية :

المناسبات الدينية التي يحتفل بها الأهالي تتمثل في المولد النبوي الشريف و عيدي الفطر و الأضحى ، يوم عاشوراء ، ليالي شهر رمضان ، و البساطة هي السمة هذه الاحتفالات إذ يبرز في مقدمتها ارتداء الملابس الجديدة و السخاء في الطعام خاصة اللحوم و التزاور بين الأهل [2] .

أ . المولد النبوي الشريف :

يقول بانزة عن المولد النبوي الشريف " إنه عيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم و يبدوا أنه احتفال متوارث في المغرب الإسلامي ، أما في الشرق فليس باحتفال مميز . منذ الصباح الباكر يرتدي الرجال أفضل ما لديهم من ملابس و غالبا ما يفضلون الجلباب الأبيض الطويل و هو على نسق ما يلبس في مصر و تعقد حول الرأس عمامة فاتحة اللون . و يتجمع الناس في الجوامع و يخرجون الى الشوارع ، و يبدأ يوم المولد بقراءة قصة المولد الشريف في الصباح الباكر في أكبر مساجد المدينة بحضور الوالي التركي [3] . و تنظر النساء على المسيرة الاحتفالية من فوق الأسطح ، بينما يقف الرجال في صفين متقابلين و يقف وسطهم منسق الاحتفال عندئذ يبدأ قرع الطبول الصغيرة و التصفيق و المدائح النبوية و الأغاني الدينية ، ثم تحمل الرايات و تنشر أقمشة طرزت عليها آيات قرآنية على شكل سرادق و يسيرون مع الجمال المزينة بالأكاليل و يتظاهر جماعة المرابطين و طريقة العيساوية بتجريح أنفسهم بعنف ، إلا أنه على وجه العموم موكب منضبط [4] .

ب . شهر رمضان :

في شهر رمضان كانت المدن تأخذ شكلا خاصا مميزا عن بقية أشهر السنة الأخرى ، فالعمل يبدأ في هذا الشهر في منتصف النهار تقريبا و يتواصل حتى قبيل المغرب ، و تزدحم المساجد بالمصلين و المتهجدين . و تظل مآذنها مضيئة طيلة الليل ، و عند الغروب تطلق المدافع عدة طلقات إيذانا بانتهاء يوم من الصيام ، و عند الفجر تطلق مرة أخرى عدة طلقات إيذانا ببدء صوم يوم جديد ، و قبيل الإمساك عن الطعام و الشراب ، يخرج " المسحراتيه " بطبلاتهم أو بطبولهم لإيقاظ الناس لتناول وجبة السحور . و يستطيب الناس في هذا الشهر ، كما يكثر تعبد الناس و إقامة حلقات الذكر ، و ينتشر الوعاظ و المدرسون ، في معظم مساجد المدن يعظون الناس و يحثونهم على الالتزام بتعاليم الدين و إبراز أهمية شهر رمضان الدينية ، ويقرأون القراء بتلاوة الذكر الحكيم في المساجد بعد صلاة العصر أو بعد صلاة

[1] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 210 .

[2] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 42 .

[3] المرجع نفسه ، ص 34 .

[4] إفالد بانزة ، مصدر سابق ، ص 175 .

العشاء ، و تهتم الإدارة التركية بهذا الشهر ، بتوزيع الأموال علي الفقراء والمعوزين ، كما يقيم الوالي ولائم إفطار للعلماء و القضاة و رجال الدين الكبار و الأشراف و غيرهم من أعيان المدينة [1] .

و تقول مسس توللي أن المسلمون الاتقاء الورعون يحافظون محافظة دقيقة على صوم شهر رمضان ، تقول : لقد هبت قبل ثلاثة أيام مضت عاصفة رملية جعلت الجو حارا ملتهبا [2] ، يهدد بالاختناق ، و الرياح فيها شديدة الحرارة كاللهبان المندلعة من فوهة فرن ، فلم يحدث مطلقا أن شوهد بربري محترم واحد قد كسر صيامه و فطر ، و تجرع قطرات من الماء ، مع أن البعض

من الناس كان يرش الماء على الوجوه ، و لم يحاول شخص واحد أن يبلل شفتيه بقطرة واحدة من الماء [3] .

ج . عيد الفطر و عيد الأضحى :

في عيد الفطر يصلي الوالي و كبار موظفيه و جم غفير من الناس ، يتقدمهم رجال الدين و القضاة و المفتي في جامع صلاة العيد ، ثم ينتقل الوالي الى منزله ليتقبل التهاني بحلول هذا العيد . و ينصب في هذا اليوم شيخ الركب ، و هو فارس من المواطنين يناط به ، و معه جماعة من الرجال الأشداء ، قيادة و حماية قافلة الحجاج التي تتجه الى الأراضي الحجازية ، و يتقدم شيخ الركب المختار صباح أول أيام عيد الفطر ، من الوالي مباركا بحلول العيد ، فيقوم الوالي بمنحه سيفا و فرسا و برنوسا أحمر و صرة من المال ، و يخرج شيخ الركب بعد ذلك الى ظاهرة مدينة طرابلس و يعسكر هناك لعدة أيام ، ينتظر فيها وفود الحجيج القادمة من مختلف جهات طرابلس ، و كذلك قوافل الحجاج المغاربة الوافدة من الجزائر ، المغرب و تونس ، و تتعاظم القافلة أثناء سيرها بانضمام وفود الحجاج من المناطق الشرقية و الجنوبية التي تكون موجودة على الطريق تنتظر القافلة القادمة من طرابلس [4] .

اعتاد الوالي في هذين العيدين القيام بزيارة المرضى في المستشفيات و ثكنات الجنود لتهنئة الذين لم يشاركوا في الاحتفالات بسبب مرضهم أو الأعمال التي تتطلب أن يبقوا في ثكناتهم ، و في عيد الأضحى يقوم الموسرون بذبح الكباش بعد خروجهم من صلاة العيد فيوزعون قسما من لحومها على الفقراء و يأكلون قسما ، و يقددون الباقي [5] .

تقول الانسة توللي أنه في صباح اليوم الأول من شهر شوال تطلق مدافع القلعة و كل المدافع المحيطة بالمدينة معلنة بداية عيد رمضان الذي يستمر ثلاثة أيام في المدينة ، و سبعة أيام في الريف . يرتدي الناس ملابس من مختلف الأشكال و الألوان ، و من كل الأنواع الغريبة العجيبة و البدلات الغليظة . التي لاتشبه شيئا في العالم ، مع أنهم يسمون أنفسهم بأسماء مختلفة مثل : أسد أو جمل .... الخ . ثم يخرجون للرقص و اللعب بالمزامير و الآلات الموسيقية الأخرى ، و ترتبط الاراجيح بين عجلتين عاليتين في الشوارع ،

---

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 33 – 34 .

[2] الهواء الساخن يسمى (قبلي) لأنه يهب من الجنوب .

[3] توللي ، ريتشارد ، عشر سنوات في بلاط طرابلس ، ترجمة عبد الجليل الطاهر ، دار ليبيا ، بنغازي ، ص 85 .

[4] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 35 .

[5] المرجع نفسه ، ص 36 .

حيث يتأرجح الناس بعد دفع مقدار من المال كما يتوقف الصيادون عن صيد السمك خلال أيام هذا العيد ولا يمكن الحصول عليه لان قوارب الصيد تحمل الناس للنزهة حول الميناء .

و في كل ليلة من أيام العيد ، تضاء المساجد بالأنوار ، ولم تكن المدينة منورة بل بالعكس كانت مظلمة كليا ، و يبدوا المنظر بهيج ، و يتلألأ النور الساطع من المصابيح حول منارة عالية في كل مسجد [1] .

كما نشير إلى بعض عاداتهم الأخرى :

لا يقبل الطرابلسي ضيفا عنده للمبيت إلا بعد أن يأكل اللحم عنده ، مهما كان الوقت متأخرا . و من عادات السكان أيضا ، بعد أن توضع الحناء في يد العروس ، تؤخذ قطعة منها و تعطى لإحدى البنات اللواتي فاتهم القطار ، تفاؤلا بزواج سريع . و عادة أخرى أنه إذا تأخرت إحداهن في الزواج ، خرجت إحدى قريباتها التي يشترط أن تكون متقدمة في السن و حاجة ، تلتف برداء يغطي جسدها حتى لا يبدو منها شيء سوى راحة اليد ، فتذهب إلى سبعة بيوت ممن لم يسبق لأصحابها الزواج أو الطلاق ، و تدخل المرأة هذه البيوت و يدها ممدودة إلى الأمام دون أن تفوه بكلمة ، فتقدم لها ربت المنزل بعض الدقيق و الملح ، وبعد عودتها إلى المنزل ، تعجن المرأة الدقيق و الملح الدي جمعته من البيوت السبعة ، و تخبزه في المنزل ثم تقدمه إلى الفتاة العانس . فإذا أكلته حلمت الفتاة حلما جميلا يكشف لها عن المستقبل ، و لا يتأخر زواجها بعد ذلك كثيرا .

و عند انتقال العائلة الطرابلسية من مسكن لآخر، لابد من ذبح طير أو حيوان على عتبة البيت الجديد قبل دخوله ، خوفا من الحوادث أو العين الشريرة ، و تفاؤلا بالمسكن الجديد [2].

[1] ريتشارد توللي ، مصدر سابق ، ص 87 – 88 .

[2] راسم رشدي ، مصدر سابق ، ص 214 – 215 – 216 .

المطلب الثالث : الحالة الصحية للمجتمع

شكل الوضع الصحي في ليبيا في العهد العثماني ، صورة قاتمة محزنة ، بسبب ما عاناه الشعب الليبي من أذى الأمراض الفتاكة و افتقار البلاد لأدنى الشروط الصحية ، سواء في نقص و ندرة الأطباء و الدواء ، أو في عدم اهتمام المسؤولين الأتراك بالمرافق الطبية الصحية ، و ظل الليبيون طيلة ذلك العصر يعالجون أمراضهم عند العطارين و أدعياء الطب ، حتى سارت في أهازيجهم و أمثالهم عبارة " الدواء في العشبة و الفقيه " ، و كانت الأمراض تحصد سنويا العشرات من الأطفال و الكبار ، و لم يتحرك الأتراك نحو الاهتمام بالصحة العامة ، إلا في أواخر حكمهم ، و اقتصر على بعض المدن الكبرى كطرابلس و بنغازي و الخمس .... الخ التي شهدت تأسيس عدد قليل من المستشفيات و المستوصفات . بينما تواصلت سياسة اللامبالاة في الأمور الصحية في كافة مناطق ليبيا الأخرى [1] .

- و من الأمراض التي كانت أكثر انتشارا في ليبيا أيام العثمانيين :

1 . الطاعون و الكوليرا : هذان المرضان الخطيران كانا يزوران البلاد بين ان و اخر ، و يتسببان في قتل المئات بل الالاف من البشر كل مرة و هما من الامراض الوافدة التي تأتي نت خارج البلاد مع المسافرين القادمين و البحارة ، و اهتم العثمانيون في سنواتهم الأخيرة بليبيا ، بمسألة الحجر الصحي و عدم السماح للقادمين بحرا أو برا بدخول البلاد إلا بعد التأكد من هذين المرضين و غيرهما من الأمراض المعدية [2] . ففي سنة 1767 حدثت مجاعة كبيرة و ما إن لبثت أن تجددت مرة أخرى عام 1784 ، و ذهب ضحية هذه المجاعة أعداد كبيرة من سكان الولاية الذين كانوا يلقون حتفهم يوميا ، و قد وصفت الرحالة (ليدي ورتلي) في يومياتها أوضاع الولاية المأساوية قائلة : " إن المدينة في ظروفها الراهنة، تمر بمرحلة مرعبة من المجاعة حتى أن المرور بشوارعها على الأقدام أو فوق ظهور الخيل، أصبح شيئاً مخيفاً مفزعاً بسبب الجوعى الذين يموتون كل يوم على الطرقات " [3] .

أما الرحالة ريتشالد توللي فذكرت أن إجمالي ضحايا الطاعون كان (5950) نسمة منهم (4200) من المسلمين و (1750) من اليهود، وهناك مصادر ذكرت أن المدينة وضواحيها كان يقطنها ما يقارب (14) ألف نسمة، ربعهم من اليهود، وخلال موجة الطاعون التي استمرت (6) أسابيع خسرت المدينة أكثر من 5,42٪ من سكانها، أي أنها فقدت (5950) نسمة [4] ، أما الإيطالي أتوري روسي فقد ذكر أن عدد سكان الولاية قبل انتشار الوباء كان حوالي (14) ألف نسمة ، قضى الطاعون على ربعهم [5] ، أي ما يقارب (3500) نسمة .

أما مرض الكوليرا ففي أسبوع واحد قضى على 110 شخص ، كما عرفت ليبيا أيام العثمانيين

---

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 265 .

[2] المرجع نفسه ، ص 270 .

[3] اتوري ،روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ترجمة : خليفة محمد التبسي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1974 ، ص305

[4] ريتشارد توللي ، مصدر سابق ، ص

[5] اتوري روسي، المصدر السابق، ص305.

أيضا مجموعة أخرى من الأمراض لكنها أقل انتشارا ، و خطرها كان مقصورا على المصاب أو المقربين منه مثل أمراض الجهاز الهضمي، العصبي ، الدم ، الجلدية ، البولية ، الزهري [1] ، و أمراض الأطفال كالحصبة و السعال الديكي و غيرها ... .

2 – الدرن الرئوي : كان منتشرا في المناطق الفقيرة جدا لأن نمو هذا المرض و انتشاره يأتي من سوء التغذية و من السكن في أماكن ضيقة رطبة لا تدخلها الشمس و لا الهواء النقي .

3 – التيفوس : و هو مرض يحصد سنويا العشرات ، و كان منتشرا في المناطق التي تعز فيها المياه ، حيث يكون من الصعب توفير شروط صحية ضرورية ، كنظافة الجسم و شهر الرأس للقضاء على الحشرة الناقلة له .

4 - الجدري : و هو مرض اخر سببه سوء التغذية و عدم الاهتمام بالنظافة ، لكن العثمانيين في عهدهم الثاني عملوا على تعميم التلقيح ضد هذا المرض فخفت سطوته على المواطنين .

5 - الرمد العيني : و كان معروفا في ليبيا بنوعيه الحبيبي (التراخوما) و الصديدي ، كان يقضي سنويا على العديد من بصر المواطنين ، و ساهم في انتشار هذا المرض الجهل و عدم توفير أسباب مقاومته [2].

- الإجراءات الصحية التي نفذها العثمانيون في ليبيا :

1 – تأسيس المستشفيات : المستشفيات الحديثة العامة عرفتها البلاد في عهد القرمانيين عن طريق البعثات التبشيرية . و أسس أول مستشفى عصري في طرابلس سنة 1838 م أي في بداية العهد العثماني الثاني ، و عرف باسم المستشفى العسكري يعالج فيه العسكريون و الأسرى بالمجان ، أما عامة الناس يعالجون مقابل دفعهم تكاليف الدواء و العمليات . و في عام 1870 أنشأت طرابلس مستوصفا داخل المدينة بدأ بتقديم الإسعافات الأولية و يعالج مختلف الامراض . و في سنة 1878 م و ضع الوالي أحمد عزت حجر الأساس لأول مستشفى مدني عام يضم مختلف الأقسام العلاجية ، و استغرق بناءه ثلاث سنوات .

أما المستشفيات الأجنبية في طرابلس فقد كان هناك مشفى إيطالي [3] بقسمين : واجد للرجال و اخر للنساء ، و يشرف على المستشفى بقسميه طبيب إيطالي ، كم أنشأ في عام 1878 مستشفى صغير كان تحت رعاية قنصل فرنسا [4] .

---

[1] الحاج عبد السلام أدهم، وثائق تاريخ ليبيا الحديث ، منشورات جامعة بنغازي ، وثيقة رقم (93) ، ص 153 .

[2] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 269 .

[3] فرانشسكو كورو، المصدر السابق، ص129.

[4] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 275 .

2 – الصيدليات :

أكد فرانشسكو كورو على وجود 5 صيدليات مع بداية الاحتلال الإيطالي و هي :

- كان لبلدية الولاية صيدلية خاصة بها وكانت مزودة بالأدوية الطبية اللازمة لعلاج عدد لا بأس به من الأمراض [1] ، ويعتقد أن هذه الصيدلية كانت تابعة لمستشفى البلدية خاصة إذا ما علمنا تشابه اسم الصيدلية والمستشفى فضلاً عن عدم وجود صيدلية لمستشفى البلدية .

- أما الصيدلية الثانية ، فهي المتواجدة داخل المستشفى العسكري المتواجد في مركز الولاية ، والتي كانت متطورة مقارنة مع مثيلاتها لتزويدها بمعمل وأدوية ومعدات طبية متميزة .

- الصيدلية الثالثة هي الصيدلية التابعة للمستوصف الواقع في المدينة القديمة ، والذي يعتقد أنه المستوصف الذي بناه الوالي أحمد راسم باشا عام 1899 خلف الكمارك .

- الصيدلية الرابعة هي صيدلية توجد في شوارع مدينة طرابلس وتحديداً في منطقة القلعة (السرايا الحمراء) ، وكان لمستشفى الغرباء صيدلية وصفت بأنها جيدة، كانت مزودة بكل أنواع الأدوية اللازمة لعلاج المرضى الفقراء ، ووضعت الصيدلية تحت الرقابة المستمرة للجنة الصحية التي كانت تتألف من عدد من الأطباء المهرة .

- والصيدلية الخامسة هي صيدلية ريكاردو العائدة إلى المالطي ريكاردو الذي كان يملك صيدلية ضمت مصنعاً للأدوية وقد ذاع صيت هذه الصيدلية حتى سمي الشارع باسمه شارع ريكاردو[2].

[1] فرانشسكو كورو، المصدر السابق، ص121.

[2] وفاء كاضم ماضي الكندي ، مرجع سابق (مجلة) ، ص 687 .

المبحث الثاني :
الوضع الاقتصادي في طرابلس الغرب

المطلب الأول : التجارة

المطلب الثاني : الزراعة

المطلب الثالث : الصناعة

المطلب الأول : التجارة

" إذا كانت مصر هبة النيل ، كما يقال ، فان القوافل التجارية القديمة ، التي كانت تمخر عباب الرمال في صحراء ليبيا ، لتصل شواطئ البحر المتوسط بأواسط إفريقيا لمئات السنين ، كانت من أهم مصادر الحياة للآلاف من الليبيين ، بدءا بعمال التفريغ وشحن السفن وانتهاء بسكان النجوع والواحات الممتدة داخل الصحراء ، خصوصا منذ ان اخذ مناخ الأرض الليبية في الميل إلى الجفاف أيام الاستعمار الروماني واتساع مساحة الأرض القاحلة الجرداء ، ونضوب المياه العذبة في العديد من الينابيع " [1] .

عرفت التجارة والنشاطات البحرية تشجيع كبير أيام احمد القرمانلي (1711 _ 1745)، وعلي باشا (1754 _ 1793) ، كما استمر هذا الاستقرار والازدهار أيام يوسف باشا (1796 _ 1832 م) .

الى ان الحياة الاقتصادية تدهورت أواخر أيام الأسرة القرمانلية ، ثم عاد الاقتصاد للحياة بانتعاش التجارة في الفترة الثانية من الحكم العثماني لطرابلس (1835_ 1911 م) .

1 - الطرق التجارية :

أ - الطرق التجارية المتجهة من الشمال الى الجنوب وبالعكس :

- **طريق طرابلس – نيجيريا :**

يبدا من طرابلس ثم يتجه نحو الجنوب الغربي مارا بجنزور [2] - الزاوية - بئر الاراسيا - بئر القطرة ،فساطو - بئر السانية - الرجبايل - بئر العقبة - بئر سلاس - سيناون - بئر سانية يعقوب -بئر ميزران - غدامس . ثم يتجه نحو الجنوب الى غات مارا باماسين - تازانير - - تاهمينت - ايزنر ثم غات . ثم الى الجنوب الغربي حيث كانو يمروا بالايز - زيندر ، تبلغ ساعات السير مابين عشرة الى اثني عشرة ساعة يوميا ، و من اهم السلع التي تمر بهاذا الطريق الجلود وريش النعام والمنسوجات والعاج .

- **طريق طرابلس _تشاد :**

تبدا الرحلة من طرابلس الى ترهونة[3] - ورفلة - مرده - هون - سكونه - سبها - مرزق - تيغرهى - بيلما - بحيرة ترهونة - كوكا ، تعرف هذه التجارة بنوع من الركود والتراجع اثر سيطرة بعض القبائل على هذه الطريق ولكن استعادت نشاطها بعد تجارة الفرنسيين والبريطانيين مما وفر الامن والاستقرار للقوافل ، كان معروف هذا الطريق بتجارة .

---

1 تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، امجلة تراث الشعب ، طرابلس ، 1988، ص 157 .

2 جنزور ، تقع غرب طرابلس بنحو 12 كلم وكلمة زنرور بربرية الاصل انظر الى ، احمد زاوي ، معجم البلدان العربية ، مكتبة النور ، طرابلس 1968 ص172 .

احمد 3 تر هونة كلمة بربرية الاصل وكانت تطلق على قبيلة هواي وتطلق اليوم على قبيلة عربية من اكبر القبائل في طرابلس ومواطنها جنوب طرابلس بنحو 85 كلم انظر الى ، الزاوي ، مرجع سابق ، ص 81

الرقيق قبل تحريمها [1] ، تستغرق رحلة القوافل في هذا الطريق ذهابا وإيابا ستة أشهر ومنها أيام الراحة [2] ، تمر بعدد من البلدان التي تكون بها التمور فتكون الغذاء الرئيسي لرجال القوافل ويتوفر بها الماء على طول الطريق [3] .

➢ **طريق طرابلس _بنغازي_ واداي :**

إن هذا الطريق ينطلق بمحاذاة البحر إلى بنغازي وذلك لصعوبة اختراق الكثبان الرملية التي تعيق حركة سير القوافل من طرابلس إلى الواحات الشرقية [4] ، المنطلق الرئيسي هو مدينة بنغازي تتجمع بها القوافل من مختلف المناطق غالبا ما يستعمل تجارها الطريق المار من أوجلة ـ جالوا ـ الكفر ـ التبستي ـ انوانجا ـ انسكي ـ واداي [5] ،، تستغرق القوافل في هذا الطريق ثمانية عشرة اشهر تقريبا ، السلع المارة بهذا الطريق تتألف من المصنوعات الزجاجية والمرايا والبرانس وأنواع من المنسوجات [6].

ب ـ الطرق المتجهة من الغرب إلى الشرق :

➢ **الطريق الساحلي(طرابلس _اجدابيا) :**

ينطلق من طرابلس إلى الخمس ـ مصراته ـ سرت ـ اجدابيا ـ بنغازي ـ درنة ـ طبرق ـ دخولا إلى الحدود المصرية إلى الإسكندرية ثم القاهرة اذ تتجمع القوافل من مختلف الجهات وتنطلق إلى أداء فريضة الحج[7] ، يعد هذا الطريق من الطرق الرئيسية يعرف بالطريق الساحلي يمكن أن يربط مصر مع تونس ، كما يعتبر من أهم الطرق للتجار والمسافرين وأكثر أمانا ووفرة للمياه [8] .

ـ الطريق الصحراوي :

يبدأ من طرابلس مارا بالمناطق التالية : سوكنه ـ زويله ـأوجلة ـ الجغبوب ثم يدخل عن طريق سيوه كراداسة غرب .

هناك تتجمع القوافل المتجهة للحج .

ويلاحظ أن الواحات تشكل نقطة توقف مهمة للقوافل فهي مناطق راحة لتوفر المياه بها لأفراد القوافل و الحيوانات المرفقة للقافلة ، إذ تلتق بالقوافل التجارية سواء التي سارت بالطريق الساحلي أم الطريق الصحراوي و منها تتجه لأداء فريضة الحج في مكة المكرمة حيث إن الطريق الصحراوي ينطلق من

---

[1] وفاء كاظم ماضي الكندي ، الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب ، ط1 ، الاردن ،2017 م ،ص140 .

[2] محمود ناجي ،تاريخ طرابلس الغرب ، تر عبدالسلام ادهم محمد الاسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الاداب ، 1970م ،ص65 .

[3] فرانشسكو كورو ص87 .

[4] محمد عمر مروان ، سجلات محكمة طرابلس الشرعية (1174هـ-1271ه)-(1760م-1854م) ، كلية الاداب ، ص26 .

[5] يسير موسى ا،المرجع السابق ، ص 162.

[6] فرانشسكو كورو ، المرجع السابق ،ص88 .

[7] وفاء كاضم ماضي االكندي ، المرجع السابق ، ص140 .

[8] علي حامد خليف اللطيف ، المراكز التجارية الليبية وعلاقاتها معا ممالك السودان ،جمعية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ،ص72 .

غدامس ويسلك اتجاهين مختلفين ، الأول نحو الجزائر مارا بسكيكدة _قسنطينة_سطيف _الجزائر ومن الجزائر نحو المغرب فبلاد الأندلس بعد مرورها على الطرق التجارية المهمة مثل سجلماسة واوغدست وبسكرة وعين صالح وفاس [1].

ج - الطريق البحري :

من الطبيعي ان النشاط التجاري الليبي عبر الصحراء ماكان ليزدهر ويستمر لولا ان قابله نشاط تجاري كثيف ، يتم بموجبه نقل السلع الى العالم الخارجي ، وجلب ذلك العالم الى افريقيا وليبيا حتى غدت الموانئ الليبية تعج بعشرات السفن الداخلة والخارجة ، ويذكر الاستاذ الروسي انه بعام 1824 م وصل ميناء طرابلس 27 سفينة من مالطا ، و19 سفينة من ليفربول جربه ، وغادرت الميناء في نفس العام 101 سفينة تحمل اعلام انجلترا وفرنسا والنمسا وتوسكاتا وساريدينيا وطرابلس ، كما يورد محمد ناجي جدولا بعدد السفن الداخلة ميناء طرابلس والخارجة منه وعدد الأطنان التي جلبتها او عادت بها منذ عام 1862 م حتى عام 1902 وهو على الوجه التالي [2]:

السفن المغادرة : 34363 سفين　　السفن القادمة : 26431 سفينة

مجموع حمولتها : 6.238.86 مليون طن　　مجموع حمولتها : 6.602024 مليون طن

➢ ميناء طرابلس :

هو باتجاه الشمال الشرقي لليبيا ، يبلغ عرض مدخله حوالي خمسمائة مترا ، تحيط به الصخور من جميع جهاته ، لم يكن مهيئا لحركة الملاحة البحرية ،كانت المبادلات التجارية عبر هذا الميناء مع بلدان اوروبا في مجال التصدير والاستراد ، حيث تمثلت صادراتها لايطاليا في : ريش النعام والعاج والجلود غير المصنعة والخشب وغيرها ، اما الواردات فهي : دقيق وقهوة ومنسوجات قطنية ومواد حديدية وفحم [3] .

➢ ميناء بنغازي :

اطلق عليه ميناء ليبيا الثاني ، لم يكن به سوى رصيف قصير ومخزن كبير نوعا ما قرب الجمرك القديم ، كانت به رافعة واحدة بحمولة ثلاث اطنان ، يربط بنغازي خط بحري باوروبا واواسط افريقية وجنوبها ويربط كذلك بنغازي خط بحري يمر بجزيرة مالطة وميناء صقلية [4] .

[1] مصطفى عبدالله ،دراسات من التاريخ اللوبي ، مطابع عبدين ،الاسكندرية ، 1953، ص199.

[2] تيسير بن موسى ،المرجع السابق ، ص163 .

[3] وفاء كاظم ماضي الكندي ، المرجع السابق ، ص 142 .

[4] فرانشسكو كورو ، المرجع السابق ، 61

➢ **ميناء الخمس وزلطين :**

كان يتم في هذين الميناءين التبادل التجاري بين طرابلس الغرب والدول الاوربية عن طريق بواخر خاصة مؤجرة لهذا الغرض وتتعلق هذه التجارة بتصدير الحلفاء والشعير الى انجلترا [1] .

د - تنظيم القوافل التجارية ومراكز التجارة :

تنظم القوافل التجارية الصحراوية في العادة ، من قبل تجار مواطنين ، وتوكل قيادتها الى شخص متمرس باصول التجارة وعبور الصحراء ، يسافر قسم من التجار مع القافلة ، اما الباقون فيسلمون بضاعتهم الى وكلائهم ، باشراف رئيس القافلة ، بالنسبة لحجم القافلة وعدد جمالها ، يختلف من قافلة الى اخرى ، القافلة المتوسطة يصل عدد جمالها الى مائة جمل ، كما ذكرت احدى المواثيق انه في عام(1290 هـ ،1873م) بلغ عدد الجمال 16 الف جمل ، كان من المالوف ان اكبر القوافل متجهة لاداء فريضة الحج.

زاد رجال القافلة يتكون من مواد جافة مهيأة سلفا ، كدقيق القمح ، الشعير ، الكسكسي ، البصل الجاف ، شحم الضان ، زيت الزيتون ، الخبز اليابس ، اللحم المجفف ...الخ [2] .

اما بالنسبة لاوقات انطلاق القوافل فاختلفت المصادر ، منها من يذكر ان الرحلات تكون باشهر الصيف وهذا لان اصحاب القوافل يفضلون المكوث ببيوتهم ايام الصيف ولكي ترتاح حيواناتهم ، ويشرعون بالبحث عما ينقلونه .

وهناك عدد من الباحثين يذكرون ان رحلة القافلة تكون بالشتاء نظرا لاعتدال المناخ على عكس فصل الصيف تصل درجة الحرارة الى خمسين درجة تحت الظل [3] .

تسير القافلة صيفا بالليل ، يبدا قبل الغروب سيرا حتى الفجر،حيث تخلد القافلة للنوم ، اما بالشتاء فيكون المسير نهارا ، من الفجر حتى الغروب ، معدل سير القافلة اليومي 12 ساعة

تقطع حوالي 70 كلم في اليوم الواحد .

اما حمولة الجمال تتراوح بين 130_ 160 كيلوغرام في ربطتين ، كما تنظم القوافل بجانب عناصر مسلحة تدافع عنها من قطاع الطرق واللصوص [4].

تبدل القافلة جمالها المتعبة بعد سير 500 _600 كلم ، ويحصلون على جمالهم بالأجرة .

---

[1] محمود ناجي ، المرجع السابق ، ص147 .

[2] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 165.

[3] المرجع نفسه ، ص 166 .

[4]تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 166 .

➢ **القافلة داخل إفريقيا**

حين تصل القافلة الى محطتها الاخيرة بإفريقا ، تضع احمالها في اماكن معينة ، ويتصل قائد القافلة بقيم السوق ، او التجار المتنفذين حيث يتفاهمون على كيفية تصريف السلع الواصلة والسلع المراد اخذها [1].

تنتظر القافلة حتى يتم بيع السلع التي جلبتها ، وتامين المواد التي تعود بها ، كما عرفت تلك المنطقة تغلغل التاجر الليبي والداعية الليبي ، وقد ترك بصمته بالمنطقة بمساهمته بنشر الرسالة المحمدية وبناء المساجد [2].

➢ **مراكز التجارة :**

طرابلس :تعتبر اهم المدن التجارية انطلاقا من العهد الروماني ، كانت ملتقى اواسط افريقيا والشرق واوروبا ، نظرا لكثافة الحركة التجارية تصاعدت المشكلات التجارية فأقيم اول محكمة تجارية سنة 1851م .

كان هناك تجار ليبين طرابلسيين وغدامسين وظهر تجار يهود واجانب اتصفت اعمالهم باستغلال جهد المجتمع العربي الليبي ، اهتم العثمانيون بتوسيع المرافق التي تحتاجها التجارة بطرابلس ، توسيع الميناء بناء ارصفة لنقل وتفريغ السفن ...الخ ، فقد كانت اسواق طرابلس مثل خلايا النحل من كثرة الوافدين من التراب الليبي او خارجه .

مصراته : كانت في العهد العثماني تحتل مركز تجاري مهم ، بسبب موقعها المطل على شاطئ البحر ، افتتح بها فرع لقنصليتها العامة يديرها نائب للقنصل وذلك منذ القرن السادس عشر ،كانت معظم القوافل تتخذ منها محطة رئيسية لرحلاتها كما استمدت شهرتها من بعض السلع التي تنتجها محليا كالسجاد والسجاد المرقوم والبساط العادي .

بنغازي : كانت مدينة مهمة من الناحية التجارية حيث انها ملتقى لجميع القوافل الوافدة من والى امارة واداي بالسودان ، كانت اسواقها تعج بسلع افريقيا وغيرها ،كانت تخرج منها سنويا قافلتان او ثلاث قوافل.

كما كان سكان برقة يتجمعون بها لبيع منتجاتهم الصناعية والزراعية لتجار القوافل ، والتزود بمنتجات الاخرين ، وكان ميناؤها يمتلئ في هذه المواسم بالسفن التجارية الطرابلسية والتركية والايطالية وغيرها[3].

غدامس : يتراوح عدد سكان المنطقة بين ثلاثة الاف وخمسة الاف نسمة ،لقبت بعروس الصحراء ، كانت تتوسط تونس وليبيا والجزائر هاذا جعلها تحتل مركزا هاما في تجارة القوافل اضافة الى نشاط وذكاء اهل المنطقة ، زاد من اهمية المنطقة مياهها العذبة وكثرة اشجار النخيل ، وتتوفر بكثرة على الجمال وادوات

[1] المرجع نفسه ،ص 167- 169 .

[2] الميجور انتوني جوزيف كاكيا ، ليبيا في العهد العثماني الثاني ، عربه يوسف حسن العملي ، طرابلس 1946،ص176 .

[3] تيسير بن موسى ، الرجع نفسه ، ص180-182 .

الركوب التي تحتاجها القافلة ، حيث كانت تستبدل الجمال المتعبة بغدامس ، ضمرت المدينة اواخر العهد العثماني وتوقفت تجارة القوافل [1].

2- الاسواق والسلع المعتمدة:

أ - الأسواق:

وجود الاسواق وتعددها شيئ ضروري فهو ملازم لعمليات البيع والشراء ، حيث عرفت ليبيا ابان العهد العثماني بكثرة اسواقها خاصة الاسواق الموسمية او الاسبوعية كسوق الثلاثاء...الخ ، واسواق دائمة مثل سوق الترك بطرابلس ، وكان لكل سلعة سوق خاص بها ففي طرابلس كان هناك ثلاثة عشر سوق متخصصة بصنع وبيع سلع معينة : سوق الخردجية (البقالة) ، سوق الخبز ، سوق النجارة ،سوق الخضرة ، سوق النعال ، سوق الصاغة ، سوق الحلفاء ، سوق الفنيدقه (لنسج وبيع الاردية النسائية)، سوق القزداره (لصنع الاواني النحاسية) ، سوق الحدادة .

اما الاسواق الاسبوعية فاشهرها سوق الثلاثاء بطرابلس ، وسوق الاحد بطرابلس مخصص لبيع الحلفاء ، وسوق الاثنين والخميس بتاجوراء وسوق الاحد .

اما الاسواق العامة اشتهر منها اثنان فقط هما : سوق الترك ، والربع القديم والجديد .

اما الاسواق الموسمية تكون عادة ايام وصول القوافل تنصب خارج اسوار المدينة [2].

نذكر اهم الاسواق التي كانت سائدة بطرابلس الغرب :

- **سوق الحلفاء** : كان يعقد كل يوم اثنين سوق لبيع الابقار في اعوام الرخاء بلغ عدد الرؤوس المتوافرة في السوق من 200الى 250 راس يقتصر هذا النوع على اليهود والمسيحيين، تصدر الابقار الى مالطة وينقل قسم منها الى مصر يبلغ المعدل السنوي لتصدير الابقار من طرابلس وبرقة حوالي 35000الى 40000 راس [3].

كان لكل مركز رئيسي من المراكز الداخلية سوقها الخاص الذي تعقد اسبوعيا ، يباع فيها غالبا الحيوانات والمنتوجات الزراعية وغيرها ، ومن اشهر الاسواق : سوق الجمعة ، سوق الزاوية ،زوارة، مصراته ، غريان ، يفرن ،جادو ونالوت وترهونة وبني وليد [4].

كما كانت هناك اسواق نشطة بالماضي بغدامس ومرزق وغات وجاولو والكفرة تقع بالجنوب الليبي اصبح نشاطها محدود اواخر العهد العثماني مثل سوق غدامس وغات وجالو والكفرة [5] .

---

[1] المرجع نفسه ، ص172 _173 .

[2] نفس المرجع ص193 .

[3] ميجور انتوني جوزيف كاكيا ، ليبيا في العهد العثماني الثاني (1835_1911) ص 183 .

[4] فرانشسكو كورو ، المرجع السابق ، ص 120 .

[5] الميجور انتوني ، المرجع السابق ، ص 183 .

➢ **سوق الترك :**

يعد من اهم الاسواق هو سوق مستقيمة يستطيع المرء ان يشتري منها كل شيئ وبها دكاكين ذات واجهات زجاجية معظم سلعها اوروبية ومن يريد ان يرى سوقا شرقية يواصل السير وصولا الى نهايته الجنوبية ، يجد نفسه بسوق الربع او سوق المسقوفة هنا يجلس الباعة العرب يبيعون ، كما تنقسم الى قسمين سوق الربع القديم وسوق الربع الجديد [1].

يرجع انشاء سوق الترك حسب اتفاق بعض الدارسين الى عهد محمد باشا الكرادغلي (1687 - 1701م).

➢ **سوق الاحد :**

يقع بطرابلس مخصص لبيع الحلفاء ، يتم فيه كبس الحلفاء وتصديرها للخارج [2] .

➢ **سوق الرباع القديم :**

يعرف قديما بسوق العرب أنشاها الوالي محمد الصاقزلي (1649 _1672) سميت بالرباع نسبة الى الرباع التي بنيت فوقها المسكن ، والرباع دار مخصصة لسكن العزاب ، يباع فيها الاردية الحريرية المخلوطة بالاسلاك الفضية فضلا عن الازياء الملكية [3] .

➢ **سوق غات وغدامس :**

يشهد هذا السوق حركة تجارية بموسم الشتاء ويصل عدد الجمال بالقافلة الواحدة الى الف وخمسمائة جمل وربما اكثر محملة بالسلع وبالبضائع وكذلك الرقيق [4] .

والحقيقة ان الاسواق هي محطة لتلك القوافل الصحراوية التي تمر بغرض البيع او الشراء ، بمواسم معينة اضافة الى الطرق التي يرتادها الحجاج في طريقهم الى الاراضي المقدسة وتزدهر المنطقة بعملية البيع والشراء [5] .

ب - الاوزان والمكاييل والعملات

➢ **الاوزان :**

كانت طرابلس الغرب تتعامل بالوحدات التالية :

القنطار _ 51.28 كيلو غرام .

---

[1] وفاء كاظم ماضي الكندي ، مرجع سابق ص175 .

[2] الحشائشي التونسي محمد بن عثمان ، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ، تق ، علي مصطفى المصراتي ، دار لبنان ، ليبيا ، ص 102 .

[3] خليفة محمد التليسي ، حكاية مدينة طرابلس لدلى الرحالة العرب والاجانب ، ط3 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ،1997 ، ص350 .

[4] عبد المنعم الجميعي ، المرجع السابق ، ص 53 .

[5] المرجع نفسه ، ص 54 .

الاقة _ 1.282 كيلوغرام .

الاوقية _32 غرام .

الدرهم _ 3.2 غرامات .

1 قنطار تعادل 40 اقة وهي تعادل 40 اوقية وهي تعادل عشرة دراهم [1].

ارتبط ذكر المعادن الثمينة الذهب والفضة والجوهر بوزن محدد وهو المثقال والخروبة ، واستعمل المثقال ايضا لوزن خيوط الفضة ، اما الخروبة لوزن الحرير ، كما خضعت الفضة والحرير الى وحدات وزن اخرى مثل الدرهم ، والرطل للفضة والحرير ، والقنطار وهو اكبر وحدة ، كانت تستخدم هذه الوحدات عدا المثقال والخروبة لقياس سلع العطارة وغيرها مثل تمر وارز وسمن وزبدة وقهوة والحناء والصوف والكتان والزعفران والبارود ومعادن مختلفة كالحديد والرصاص والقصدير والنحاس [2] .

- **المكاييل :**

كان القمح والشعير ...الخ ، تقاس بمكاييل متعددة تختلف باختلاف السلعة وأشهر هذه المكاييل هي :

المارطة او الكيلة المحلية : تزن حوالي 11.5كغ من الشعير و16 كغ من القمح .

الكيلة الاستانبولية : تعادل 32كغ من الشعير و27 كغ من الذرة .

الويبة : تعادل 13 مارطة .

القفيز : يكال فيه عادة التمر وبه 24 كيلة محلية .

الصاع:حوالي 4 كغ من الشعير[3] .

الفقاسة : تزن حوالي كيلوغرام واحد .

الغراف : هو مكيال السوائل يزن حوالي اقه ونصف أي 2 كلغ تقريبا .

الجرة :ايضا للسوائل تعادل 6 غرافات تزن حوالي 13 كلغ .

الحدوق :ايضا للسوائل تعادل لترين .

وبعام 1870 اصدر قانون نامه خاص باعتماد المتر الطولي والمتر المربع والمتر المكعب [4] .

---

[1] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 194 .

[2] نعام محمد شرف الدين ، المرجع السابق ، 49_50 .

[3] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 194 .

[4] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 196 .

➢ **العملات :**

بعد استقرار القرمانليين سكو نقودا طرابلسية تمتعت بقيمة نقدية اكبر من النقود العثمانية بعدها غير يوسف القرمانلي العملة جعل النحاس بها اكثر من الفضة بين عامي 1829_1832 م فغير العملة احدى عشرة مرة ، وحين عاد العثمانيون اعادو عملاتهم وكانت الوحدة الاساسية للعملة العثمانية القرش الفضي وتندرج اجزاؤه ومضاعفاته النقدية تحت : الليرة الذهبية ، نصف الليرة الذهبية ، المجيدي ، نصف المجيدي ، البشليك ، القرش ، المتليك ، نصف القرش ، البارة .

كما اشارت الوثائق انه بعام 1851 م دخلت عملات اجنبية لطرابلس وهي : الجنيه الاسترليني والفرنك الفرنسي عن طريق التجار والعملات غير العثمانية التي كانت معروفة هي القرش الطرابلسي او القرش الاصلي [1].

ج - السلع الصادرة والواردة لطرابلس:

توجد سلع عرفت رواجا في سوق طرابلس عبر الخطوط الملاحية أي الموانئ نذكر بعضا منها في الجدول التالي [2]:

مورد البضاعة	نوعها
روسيا	البترول
النمسا	الكحول
ايطاليا ، فرنسا ، الدولة العثمانية	المسكرات
ايطاليا ، فرنسا	القهوة
النمسا ، المانيا ، مصر	السكر
انجلترا ، المانيا ، فرنسا	الشاي
ايطاليا ، فرنسا ، النمسا ، المانيا ، انجلترا ، بلجيكا ، ايطاليا	العطريات
الدولة العثمانية	التبغ
ايطاليا ، فرنسا ، انجلترا، المانيا	

1 نفس المرجع ، ص 203 _206 .

2 محمود ناجي ، المرجع السابق ، ص 55_56 .

بلجيكا ، ايطاليا	المواد الكيميائية والطبية
فرنسا ، تونس ، ايطاليا	الثقاب أي الكبريت
انجلترا ، ايطاليا ، بلجيكا	الصابون
ايطاليا ، فرنسا ، بريطانيا ،المانيا	الاصباغ
	الحبال

➢ **سلع صادرة عبر الموانئ :**

البلاد المصدر اليها	**البضاعة**
البلاد العثمانية	الزيت ،ماء الزهر
مصر ، تونس ، الجزائر ، الدولة العثمانية	الحناء
انجلترا	الحلفاء
بنغازي	منسوجات قطنية ،منسوجات صوفية
فرنسا	صوف
الولايات المتحدة	جلود سودانية
امريكان ، فرنسا، اليونان ، المانيا ، اسبانيا مصر ،تونس	جلود محلية
مالطه ، الدولة العثمانية مالطة ، فرنسا ، ايطاليا	مصاغ فضي
الدولة العثمانية	تمر
مالطه ،فرنسا ، ايطاليا ، تونس	دجاج وصيد
اليونان ،فرنسا ،ايطاليا ،الدولة العثمانية	سمن
فرنسا ، انجلترا	بيض
انجلترا ، المانيا	اسفنج
	ريش النعام
	سن الفيل

➢ **السلع الصادرة عبرالصحراء :**

لقد ارتبطت ايالة طرابلس الغرب بعلاقات تجارية متميزة مع باقي اجزاء الدولة العثمانية ، مصر تونس والجزائر وبلاد المغرب الاقصى فضلا عن علاقاتها معا الدول الاوروبية [1].

تشمل المواد المصدرة من طرابلس الغرب الحبوب (القمح والشعير) والزيت والتمر والزعفران والمواد الاولية مثل : الصوف والجلد والشمع والعسل والمرجان والحلفاء والملح والنحاس فضلا عن الحيوانات اما الواردات فتشمل بعض المواد الغذائية مثل الحمص والفول والقهوة والسكر والخمور والاسلحة فضلا عن تجارة العبيد التي كانت منتشرة كثير [2].

د - سلع واردة من الدول العربية :

➢ **سلع مجلوبة من الحج :**

كان يرافق قافلة الحج عدد من التجار يستوردون خلال ذهابهم لاداء فريضة الحج منتوجات شرقية واسيوية ومنتوجات هندية وجدت رواجا بالسواق الليبية من بين هذه السلع نذكر : الحرير والصوف والقطن والكتان وبلسم مكة والمسك والبخور والبن والفستق والتوابل والمصوغات الذهبية والفضية [3].

➢ **سلع من مصر وتونس :**

تستورد من مصر الحيوانات والحنة والخضر والسكر والارز والصوف ومن تونس التين وزيت الزيتون والصابون والتمور والروائح العطرية [4].

➢ **سلع واردة من الدول الاوروبية**

كانت لطرابلس الغرب علاقات تجارية مع عدد من الدول الاوروبية فتنوعت السلع الاوروبية نذكر منها مايلي :

ايطاليا :

الدقيق والقهوة والتوابل والمصنوعات اليدوية والحرير والمنتوجات والخردوات والمواد الغذائية ومصنوعات البندقية الزجاجية والخشب والعطور ومواد الطبية واعواد الثقاب والصابون[5] .

---

[1] وفاء كاظم ماضي الكندي ، مرجع سابق ، ص 45.

[2] اتوري روسي ، مصدر سابق ، ص 46 .

[3] وفاء ماضي كاظم الكندي ، مرجع نفسه ،ص50 .

[4] فرانشسكو كورو ، المصدر السابق ، ص 77 .

[5] المصدر نفسه ،ص75 .

فرنسا :

المواد الغذائية مثل الدقيق والسكر والشاي واللبن وخضروات مجففة وادوات منزلية وجلود وحرير وفضة[1].

بريطانيا :

الشاي والعطور والحبال والخيوط حريرية والمنسوجات الصوفية والشمع .

المانيا :

الشاي والسكر والمواد الطبية الكيميائية والحديد ومعادن اخرى والخزف الصيني [2].

[1] وفاء كاظم ماضي الكندي ، مرجع السابق ، ص52 .

[2] محمود ناجي ، المرجع السابق ، ص56 .

المطلب الثاني : الزراعة

يصف الدارسون الاقتصاديون وغيرهم ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني بانه مجتمع رعوي ، لكن بالعكس كان البعض يمتهن الزراعة والباقي كانوا يمتهنون الصناعة او التجارة ، عملت الحياة الزراعية الرعوية على طبع المجتمع الليبي بطباعها الخاص المميز [1]، كما اعترف الايطاليون بان الأتراك حاولوا رفع مستوى الزراعة وتشجيعها بطرابلس [2]، اعترف الايطاليون بان الأتراك حاولوا رفع مستوى الزراعة وتشجيعها بطرابلس[3] .

1 _ وضع الزراعة وملكية الاراضي :

أ - المشاكل التي تعاني منها الزراعة :

رغم انها كانت العماد الاساسي لحياة غالبية الليبين ، الى انها كانت تعاني من مشاكل اهمها :

- محدودية كميات المياه وانعدام المجاري المائية الدائمة .
- الظروف المناخية المتقلبة ، كان لها دور في وفرة المحاصيل او قلتها .
- اعتماد المزارع على ادوات زراعية قديمة وابقاء القديم على قدمه .
- انتشار الافات الزراعية والحيوانية ، رافقه جهل الفلاح بسبل مكافحة هذه الآفات والتحرر منها .
- صعوبات المواصلات والنقل.
- قلة الايادي العاملة بهذا المجال رغم توفر الاراضي [4] .

ب - طوائف الفلاحين :

- الفلاحون المالكين للأرض يعملون في ارضهم بأنفسهم ، يستأجرون عمالا لمساعدتهم .
- العمال الفلاحون والموسميون ، متنقلين يعملون وقت المواسم الزراعية .
- فلاحون يعملون في ارض غيرهم يعيشون بصفة دائمة بها [5].

ج - ملكية الاراضي

قانون 1858 قسم الاراضي الى خمسة اقسام هي :

---

[1] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 91 .

[2] نفس المرجع ، ص92 .

[3] المدني سعيد عمر ، الاصلاحات الزراعية ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني 1858_1911 قسم العلوم الانسانية ،العدد الثامن ، ص210

[4] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص92

[5] المرجع نفسه ، ص94.

➢ **الاراضي المملوكة للاشخاص وهي اربعة :**

ـ العرصات التي توجد داخل القرى .

ـ الاراضي التي افرزت من الاراضي الحجومية بناء على مساغ شرعي وجرى تمليكها للافراد رسميا .

ـ اراضي العشرية هي اراضي منحت للمسلمين اثناء الفتح الاسلامي .

ـ الاراضي الخراجية هي اراضي بقيت بيد غير المسلمين من اهل البلاد الاصلين وفرضت عليهم ضريبة الخراج[1] .

➢ **اراضي الميري :**

هي اراضي مملوكة للدولة ويمكن لاي شخص ان يحصل على اذن من الدولة لاستعمال قطعة من الارض الميري ، استعمالا دائما ، على اساس ايجار سنوي ، الى انه لا يمكن ان تملك لاي شخص قطعيا .

➢ **اراضي الوقف :**

هي الاراضي التي وهبها اصحابها من اجل اغراض دينية وتصبح بذلك ملك للمسجد ، ان هذا النوع لا يباع ولا يمكن ان تملك لاي شخص[2] ، كما منع بيعها او وراثتها بعد الممات وهذه الاراضي نوعين :

ـ اراضي مملوكة ملكية صحيحة للافراد وجرى وقفها وفق الشرع الشريف .

ـ الاراضي العائدة للدولة وخصص ربعها من الأعشار والرسوم والضرائب لإنفاقه على مؤسسة او مرفق خيري كمدرسة الفنون والصنائع .

➢ **اراضي متروكة :**

اراضي من اجل المنفعة العامة ، تخص الاراضي البور ، حيث كل شخص يستطيع ان يحرث ويحصد زرعه بدون أي قيود حكومية او قبلية [3] .

➢ **اراضي الموات :**

هي اراضي لم تستغل من قبل ، يوجد هذا النوع من الاراضي في كل مكان من ليبيا ، وغالبا ما تكون في الاراضي التي تشح فيها المياه ، او يكون اتصالها بأماكن العمران صعبا [4] .

[1] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 112 - 113 .

[2] د سالم علي الحجاجي ، ليبيا الجديدة دراسة جغرافية اجتماعية اقتصادية وسياسية , ص 160 .

[3] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص113 .

[4] د سالم علي الحجاجي ، المصدر السابق ، ص 160 -161 .

2 - الاراضي الزراعية ونظم الزراعية :

أ- تقسيمات الولاية :

- **منطقة الساحل :**

ان هذه الاراضي تتشكل من طبقة ممزوجة بالرمل و الكلس والصخر الصلب مستواها المائي ينخفض من ثلاثة الى ثلاثين متر .

- **منطقة بين الساحل والجبل :**

ارض من نفس الجنس وكلسها متغلب على عناصرها الاخرى .

- **الجهات الجنوبية من الجبل :**

هي من الجنس الطيني ، تربتها اكثر تماسكا واكثر متانة ، يوجد بها عدد وافر من الابار والينابيع وهي صالحة لغرس كل انواع الاشجار .

- الاراضي التي تضمها واحات غدامس ودرج سيناون ومزده وبونجيم هي التي تمر بها قوافل البحر الابيض ، لها قابلية لنمو الزيتون والنخيل والكروم .

- **منطقة فزان :**

هي منطقة هضبة مركبة من سلاسل تعلو عن سطح البحر من مائتين الى سبعمائة متر ، محرومة من الابار والينابيع الا انها بزمن الامطار تحدث بها سيولة قوية يصادف فيها احيانا بعض البحيرات الراكدة[1].

ب - نظم زراعة الارض :

- **ارض الايجار :**

تستغل بعقد مكتوب ، او اتفاق بين المالك والمؤجر ، يسمح للمؤجر بزراعة المزرعة لمدة معينة وبمقابل ذلك يحصل المالك على جزء من المنتوج ، ان معظم هذه الاراضي مكرسة لزراعة الخضروات والفواكه

- **ارض الاعارة وارض العكار :**

تكون هذه الارض مملوكة لفرد او جماعة وتعار لفرد او جماعة مدة العقد غير محدود ، ويسترد المالك ارضه متى شاء ، اما العكار فتمنح الارض عطاء او هبة والامر يعود لحسن نية المؤجر ، هذا النوع منتشر بين القبائل .

- المزارعة :

الارض المستغلة تكون موات او متروكة .

[1] محمود ناجي ، المصدر السابق ، ص 32 .

- زراعة المقاطفة :

يعقد اتفاق بين صاحب راس المال والمنتج (القطاف) .

- مزارعة القيراط :

تزرع الارض لصالح صاحب راس المال ويحصل على نقود حسب العمل [1].

- المغارسة :

يمارس بالمناطق الحضرية ، يوقع اتفاق مع صاحب الارض ، اشجار الفاكهة اكثر زراعة بهذه الاتفاقية ، عندما تثمر الشجرة تقسم بالتساوي .

- مزارعة الركاح :

يقسم محصول وتكاليف هذا الارض عادة بالمناصفة بين الفلاح وصاحب راس المال [2] .

3- نظام الجباية :

ارتبط هذا النظام بالملكيات الزراعية وتحكم في طريقة استغلال الارض وتطور النشاط الزراعي ، خضعت الملكيات لفريضة العشور عن المحاصيل [3]، عرفت باسم ضريبة العشر الشرعي يدفعها الفلاحون من محاصيلهم الزراعية ، وهي ثابتة ، المتغير فيها كمية ما تحققه من ايراد للدولة التي تزيد او تنقص بحسب كمية الانتاج ،فهناك علاقة طردية بين الانتاج السنوي وما يدخل من مردود في خزينة الدولة من هذه الضريبة .

تعتبر ضريبة مهمة لأنها هي من تمول الخزينة ، لان الزراعة هي المصدر الرئيسي لدخل السكان ، اما بالنسبة لكيفية جباية هذه الضريبة تتم عن طريق لجنة مكونة من ثلاث اشخاص هم :

جابي الضرائب (مأمور الضرائب) .

المثمن او المخمن ، يعرف بالخواص ، هو الذي يقد ثمن المحصول .

الكاتب .

يضاف لهم عضوان يعينهم المجلس المحلي .

فرضت الجباية بشتى الاساليب القسرية [4] .

---

[1] د سالم علي الحجاجي ، المصدر السابق ، ص 193 -195 .

[2] د سالم علي الحجاج ، المصدر السابق ، ص196 .

[3] ناصر الدين سعيدوني،الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني، قسم التاريخ ،الحولية 31 ،2010، ص20 .

[4] د كامل علي مسعود الويبه ، الادارة العثمانية في طرابلس الغرب (1842-1911)،2005 ، ص 135 -139 .

4 - المنتوجات الزراعية :

أ - الحبوب :

تحتل الحبوب المقام الاول من بين انواع المزروعات الاخرى ، كما انها تمثل المورد الوحيد لدخل بعض المزارعين [1].

➢ **الشعير** :

هو المرغوب فيه بالدرجة الاولى حيث يقتات حوالي 92% من السكان الشعير ويأكل الاجانب وبعض سكان السواحل الحنطة [2]، فقد احتلت القسم الاعظم من الزراعة في الولاية بمعدل ثلاث ارباع ما يزرعه الفلاح ، كان مطلوب من الخارج خاصة انجلترا تصنع منه البيرة ، اشار الى ذلك فرانشيسكو كورو حيث صدرت طرابلس خلال الفترة 1862 - 1878 م حبوبا بقيمة (18.876.000) ليرة بينما استيراد الحبوب بلغ (10.560.000) ليرة [3]، اهتموا به كثيرا لنضجه مبكرا وتحمله لظروف المناخ القاسية وفترة نموه اقصر من القمح [4] .

➢ **القمح :**

اما القمح الليبي هو اسمر صلب لم يكن يرغب فيه لصنع الخبز، كانت تصدر كميات كبيرة منه الى مصانع المكرونة بايطاليا [5]، تبلغ المساحة الكلية المخصصة لزراعة الحبوب بليبيا 990 هكتار تقريبا من 78 الف هكتار مخصصة للزراعات العلفية للحيوانات [6].

ب - الاشجار المثمرة :

➢ **الزيتون :**

عرف الزيتون عند الليبيين منذ عهد القرطاجيين والرومان ، لكن لم يلقى اهتماما ايام الدولة العثمانية واضطرت البلاد في بعض الاحيان الى استيراد الزيت ، الى ان الوالي حافظ باشا (1899-1903م) ابدى اهتماما بهذه الشجرة وصنف المزارعين وأجبرهم على زراعة شجر الزيتون ، تنتشر زراعة الزيتون في طرابلس ومسلاته وترهونة و ورفلة و غريان و نالوت والزاوية والجبل الاخضر [7] .

---

[1] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص118 .

[2] محمود ناجي ، المصدر السابق ، ص42 .

[3] د المدني سعيد عمر ،مرجع سابق ،ص215

[4] بو القاسم السنوسي قنه محمد ،مذكرة دكتوراه نواحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1911، كلية الاداب قسم التاريخ السودان ، ص116 .

[5] د، المدني سعيد عمر ، المرجع السابق ، 216 .

[6] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 120 .

[7] د المدني سعيد عمر ، المرجع السابق ، ص217 .

➢ **النخيل :**

تعتبر طرابلس موطن هذه الثمرة الشهية تنتشر بالوديان والواحات الصحراوية [1] ، ينتج عنها بمعدل سنوي قدره 120 الى 130 الف ليرة ، ومن تقطير التمور يستخرج مشروب باسم البوخة تصدر كميات منه إلى الخارج .

➢ **حمضيات اخرى :**

تزرع الحمضيات في البساتين والمزارع تعطي منتوجا سنويا يبلغ 60 الف ليرة سنويا [2]، اضافة الى الكرموس والتين والخوخ والبرقوق والتفاح والرمان والسفرجل [3] .

ج - زراعات اخرى :

➢ **القهوة :**

بعام 1894م فكر الوالي احمد راسم بنشر القهوة ، لكن المزارع الليبي لم يهتم بهذا الصنف من المزروعات .

➢ **التبغ :**

بعام 1884م وقعت معاهدة مع شركة فرنسية لصناعة وبيع التبغ لهذه الشركة ، حيث خصصت اراضي لزراعة التبغ وكان المحصول السنوي من الدخان الليبي حوالي 26 طن من النوع الفزاني و11 طن من النوع الطرابلسي[4] .

د - الثروة الحيوانية :

عرفت ليبيا انواعا متعددة من الحيوانات شكلت عنصر هام في حياة واعمال المزارع ، بما يمنحه الحيوان من لحم ولبن وسمن وصوف ووبر ... الخ .

كانت لولاية طرابلس ثروة كبيرة من الابل ، قدرت سنة 1903م اكثر من 300 الف راس من الابل [5] .

[1] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص124 .

[2] فرانشسكو كورو ، المرجع السابق ، ص94 .

[3] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 125 .

[4] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 127- 130

[5] المرجع نفسه ،ص 131 .

المطلب الثالث : الصناعة

كانت في ليبيا بعض الصناعات البدائية التي لم تتقدم ولم تزدهر بسبب الضرائب المفروضة على اصحاب الحرف واهمها صناعة السجاد والمنتوجات الحريرية والمنسوجات بخيوط الذهب والفضة ، اضافة الى صيد الاسماك والاسفنج واستخراج الملح من البحر ومعظم هذه الصناعات كان يقوم بها العرب الليبيون واليهود المقيمون في البلاد [1]، سنعرف بعضا من هذه الصناعات :

1 - صناعة النسيج :

تعتبر من اهم الصناعات التي عرفتها ليبيا [2] ، سنة 1910 م كان معدل الانتاج في طرابلس الغرب حوالي 1200000 ليرة ايطالية ، كانت تستورد خيوط النسج من ايطاليا وانجلترا والنمسا ومن بين المنسوجات نذكر ما يلي [3]:

أ - منسوجات صوفية :

تتمثل في الاردية الرجالية ، كانت طرابلس مركز صنع هذه الاردية كما بلغت قيمة الحركة التجارية السنوية 600000 ليرة ايطالية .

ب - المنسوجات الحريرية :

اشتهرت طرابلس بصناعة اردية حريرية عرفت بجودتها ، كانت تنسج مخلوطة بالفضة او الذهب ترجع صناعتها الى اوائل القرن التاسع عشر ، كانت تستورد الاسلاك الحريرية من ايطاليا وفرنسا وتركيا [4] .

ج - الانسجة القطنية :

اهم المنتجات الملابس النسائية والرجالية والشراشف واغطية الفراش والستائر [5].

2 - صناعة الحصر :

كانت المراكز الرئيسية لانتاجها بطرابلس الغرب هي :تاورغاء و تاجوراء ، كانت تصنع من السعف الذي ينمو في عدة اماكن نائية صالحا لصناعة الحصر هناك نوعان من الحصر هما :

حصيرة من الحلفاء ، حصيرة من السعف .

---

[1] وفاء كاظم ماضي الكندي ، المرجع السابق ، ص 24 .

[2] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 148 .

[3] فرانشسكو كورو ، المصدر السابق ،ص 65 .

[4] المصدر السابق ، ص65-66 .

[5] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ، ص 151 .

ميزانية 1910 م اعطت انتاجا بقيمة 300000 ليرة تقريبا سنويا منها 220000 ليرة تمثل المساهمة في التصدير الى الخارج [1] .

3- صناعة الدباغة والصابون :

عرفت صناعة الدباغة شهرة كبيرة بطرابلس لكنها بدأت بالتلاشي ، فقد كانت تدر سنويا ما يقارب 350000 ليرة .

اما صناعة الصابون ايضا لم تلبث ان انهارت بسبب عدم جودتها وعدم قدرتها على منافسة الانواع المستوردة [2] .

4- صناعة الصياغة :

أ - صناعة الفضة :

كانت صناعة الفضة من الصناعات المشهورة بالمناطق التالية : طرابلس ، بنغازي ،درنة ،مصراته ، المرج ، يفرن ، جادو ،غدامس ، كانت تصنع بها الاساور والاقراط والخواتم للتزين كانت من انتاج طرابلسيين .

تستورد سبائك الفضة من فرنسا ، كانت تصدر الصياغة لبرقة وتونس ومصر وكان معدل الانتاج السنوي 500000 ليرة .

ب - صناعة الذهب :

تصنع منه ايضا اساور واقراط وخواتم ، كاد يقتصر اقتناء الذهب على اليهود ، فكانت هذه الصناعة بالنسبة لصناعة الفضة محدودة ، ففي سنة 1910 تم تنفيذ اعمال بقيمة 600000 ليرة منها انتاج بنغازي.

كانت هذه الصناعة متواضعة الى حد بعيد [3] .

5 - مصنوعات متنوعة :

أ - مهنة الصباغة :

كانت بطرابلس وبنغازي مصانع لصباغة المنسوجات ،تحدث القناصل بتقاريرهم عن جودة انتاجها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر[4] .

---

[1] فرانشسكو كورو ، المصدر السابق ، ص 66 .

[2] المصدر نفسه ، ص 67 - 68 .

[3] فرانشسكو كورو ،المصدر السابق ، ص 68 - 69 .

[4] المصدر السابق ، ص 69 .

ب - صناعة الحلفاء والحنة :

بدا تصدير الحلفاء بولاية طرابلس منذ سنة 1868م كما ازدهرت بين 1868 -1896 م ،

وصدر منها حتى سنة 1888 م من 60000 الى 70000طنا سنويا .

ثم بدا هذا التصدير يهبط بسبب المنافسة التونسية والسويدية ، كانت تصدر الحلفاء الى انجلترا كان سعرها بين 55 الى 65 شلنا للطن الواحد .

كانت توجد بطرابلس سنة 1911 اربعة محلات لكبس الحلفاء وإعدادها للتصدير ، كان يعمل بها عدد يسير من الاهالي ، وكان دخل العامل يبلغ 26 ليرة للطن .

كما كانت صناعة الحناء مزدهرة بالماضي وكان ورق هذه الشجرة مطلوب في الشرق بلغ ما صدر منه في سنة 1910م (10000)عشرة الاف قنطار تقريبا .

صدر اغلبها الى تونس والجزائر والمغرب وتباع الحنة بمعدل 35 ليرة للقنطار

ج - صناعة الملح :

يستخرج من ملاحات ابي كماش وتاجوراء بطرابلس الغرب وبنغازي وكركورة وقمينس ببرقة

يبلغ معدل الدخل السنوي حوالي 80000 ليرة بطرابلس الغرب و750000 الى 800000 ليرة ببرقة

د - صناعة دودة القز :

بادر الوالي احمد راسم باشا باستيراد سنة 1899م من بروسيا 2200 شجرة توت وواصل خليفته نامق باشا عمله ، نمت بشكل قوي ، ولكن الولاة الذين خلفوه اهملوا هذه المبادرة وتخلوا عن تربية دودة القز .[1]

[1] فرانشسكو كورو ، المصدر السابق ، ص 70 - 72 .

المبحث الثالث :

الجانب الثقافي و العمراني في طرابلس الغرب

المطلب الأول : العلوم الدينية و اللغوية

المطلب الثاني : التعليم و علم التاريخ

المطلب الثالث : الفن العمراني

المطلب الاول : العلوم الدينية واللغوية

شهدت الحياة الثقافية بطرابلس الغرب اهمال كبير خلال القرنين 18 و 19 م ، و لم يعملوا على تحسين الوضع ، و سبب هذا التخلف الفكري الفوضى السياسية و الاقتصادية التي رافقت الحكم . و رغم الركود الذي شهدته الحياة الثقافية إلا أنه برز رجال أجادوا العلوم الدينية و اللغوية ، و حتى التعليم وجد إهمال كبير من طرف الأهالي ، فقد كان معظمهم يمنعون بناتهم من الذهاب إلى التعلم بحجة أن البنت مكانها في المنزل و مهمتها تعلم أمور البيت ، إلا أنه مع أواخر القرن 19 م بدأ الولاة بالاهتمام بجانب التعليم فأمروا بإنشاء المدارس و توعية الناس بفائدة التعليم و ضرورته ووجوب إرسال بناتهم و أولادهم إلى المؤسسات التعليمية .

و كما اهتم بعض الحكان بالتعليم ، اهتم البعض الأخر بالعمران و برز ذلك في منازلهم و مساجدهم و مدارسهم .

1 _ الدين :

أ _ الطرق الصوفية :

مر العلماء والفقهاء واركاب الحج وطلاب العلم عبر التراب الليبي فنقلو مختلف العلوم والمعارف اليها خاصة الدينية ، من بينهم عبد السلام الاسمر ومحمد حسن ظافر ومحمد بن عيسى المكناس وعبدالقادر الجيلاني الكيلاني وابو عبد الله ابو الجسن الشاذلي وغيرهم من الفقهاء والعلماء ، من بين الطرق الصوفية التي انتشرت نذكر : الطريقة القادرية ، الطريقة الشاذلية (الطريقة الزروقية ، الطريقة المدنية ، الطريق السلامية) ، الطريقة العيساوية ،الطريقة الرفاعية ،الطريق السنوسية ،سنعرف بعضا منها :

. الطريقة القادرية :

مؤسسها الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلاني او الكيلاني ، اجتمع بمكة بالشيخ ابو مدين هو اول من نشر الطريقة القادرية بطرابلس وتونس ، اسست زاوية قادرية بزنقة الفنيدقة بالمدينة القديمة بطرابلس[1] .

كان لهذه الطريقة العديد من المبادئ منها ترك الدنيا والرجوع الى الله وذكرت جوانب اخرى

حول الفقر والغنى [2] .

1تيسير بن موسى ،المرجع السابق ،ص82 .

[2] محمد سيف الكيلاني ، الدرر السنية في المواعظ الكيلانية ، اسطنبول ،1302 ، ص 22-23 .

. الطريقة الشاذلية :

عرفت هذه الطريقة انتشار واسع بليبيا على يد الشيخ ابو الحسن الشاذلي هذه الطريقة تشبه القادرية بحيث كانت تدعو الى الزهد حيث استمدت جذورها من القادرية[1] .

ويقول الشيخ محمد ظافر المدني : انك ان ذكرت سيدي عبدالقادر الجيلاني ذكرت الكيلاني

تفرعت الشاذلية لطرق اخرى هي :

الزروقية ، السلامية ،المدنية [2] .

. الطريقة السنوسية :

هي حركة دينية اصلاحية مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي ، اسس زاويته بواحة الجغبوب ، وانتشرت زوايا السنوسية في الجبل الاخضر والجنوب الليبي وبجهات من افريقيا الوسطى وبلاد السودان.

لم تتوقف هذه الطريقة حتى حولها ادريس السنوسي من طريقة دينية الى طريقة سياسية[3].

ب. المساجد:

بقيت المساجد تؤدي رسالتها منذ الفتح الليبي ، حيث كانت تقصد للصلاة ولمناقشة امور دينهم ودنياهم ويحل فيه القضاة المنازعات ، يرسل الاطفال لحفظ القران على يد فقهاء ويوم حفظ القران يكون يوم عيد للاهالي تنحر الذبائح وتقام الافراح ، ومنهم منسمحت له الفرصة لاكمال دراسته بتونس ومصر بجامع الازهر او الزيتونة ويعودون لوطنهم منهم القضاة ومنهم المعلمين.

وقد انشا بعض الولاة مساجد وسموها على اسمائهم مثل مسجد احمد باشا القرمنلي ،تحول الى معهد كبير وادى خدمات جليلة للعلم وبدرنه انشا مسجد محمد بك القره منلي وهو من افخم المساجد ببرقة .

انجبت طرابلس علماء كبار وقد نوه التيجاني في رحلته بشيخ علماء طرابلس الامام الحافظ ابي فارس عبد العزيز بن عبد العظيم [4] .

ج_الزوايا:

هي مركز الحركات الصوفية كانت تدعو للإسلام والتمسك بمبادئه ، يلتقي بها رجال القوافل يتبادلون معا مشايخ الزوايا الاحاديث فتبقى الزوايا على صلة بالعالم الخارجي يراسها شيخ يعرف بالمقدم.

2محمد البهيلي النيال ، الحقيق التاريخية للتصوف الاسلامي ،تونس ،مكتبة النجاح للنشر والتوزيع ، 1963 ، ص230

[2] تيسير بن موسى ، المرجع السابق ،ص 84 .

[3] المرجع نفسه ،ص93 .

[4] د . رافت غنيمي الشيخ،تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، ط1 ،دار التنمية للنشر والتوزيع ، 1972م ، ص89،88 .

كان دور الزوايا التعليم ، نسخ القران ومختلف المخطوطات العربية ، كان تعليم الزوايا يعتبر ذو مستوى عال يمكن موازاته حاليا بالتعليم الثانوي ، كان خريجو الزوايا يقومون بأعمال

التبشير والدعوة الاسلامية والتعليم بالكتاتيب والارشاد والوعظ بالمساجد [1] .

ومن بين الزوايا التي انتشرت بليبيا نذكر:

- زاوية الشيخ عبدالسلام الاسمر في مدينة زلتين .

- زاوية الشيخ ابراهيم المحجوب بمدينة مصراته .

- زاوية الشيخ الدوكلي في مسلاته .

- زاوية الشيخ اخمد الزروق بمصراته [2] .

الزاويا السنوسية :

تنسب الى عالم من اصل جزائري هو محمد ابن علي السنوسي وظهرت بظهور الطريقة الصوفية وهي الدعوة التي ظهرت بليبيا (السنوسية) ، هي اول زاوية سميت بالزاوية البيضاء (1257هـ -1843م) .

تعتبر الزاوية معهد علم ومركز اصلاح ومركز فض الخصومات ومدرسة تحفيظ القران ...الخ .

انتشرت الزوايا بالبلاد بلغت حوالي 21 زاوية اغلبها بالواحات .

يعتبر انشاء زاوية الجغبوب سنة (1273هـ -1856م) تطور هائل في حركة السنوسية ، يلتحق بها الاخوان لإعدادهم اعدادا عاليا وتخريج العلماء واعداد الدعاة كانت مزودة بمكتبة شاملة ...الخ.

د _الكتاتيب :

هو اولى التعليم الديني أي المرحلة الاولى من التعليم لتعلم القراءة والكتابة ثم ينتقل المتعلم الى الزاوية او المدارس القرآنية ومن اراد الاستزادة يرحل الى الجامع الازهر او جامع الزيتونة ،كان يدرس بها معلم يدعى الفقيه

لم يهتم الاتراك بهذا النوع من التعليم فقد كان عدد الكتاتيب سنة (1284هـ -1883م) بلغ 8 كتاتيب فقط ببنغازي ، فكان بطرابلس الغرب 15 كتابا لم تكن كلها صالحة للتعليم .

جاء في تقرير بعثة الامم المتحدة في ليبيا من ان تركيا (لم تفعل شيئا من اجل التعليم وتركت الكتاتيب المنتشرة في برقة وطرابلس تقوم بدورها وحدها) [3] .

---

[1] ، د . رافت غنيمي الشيخ ،المرجع السابق ، ص 95 .

[2] الطاهر احمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، الطبعة الاولى ،مكتبة النور ، طرابلس ليبيا ، 1388هـ ،1968م، ، ص 164 -167 .

[3] المرجع نفسه ، ص 109 .

2 _ اللغة :

كان هناك اهتمام كبير بعلوم اللغة وخاصة النحو والصرف ، كان كل هذا الاهتمام لفهم القران والسنة والكتب الفقهية القديمة .

كانت الكتب التي الفها علماء الليبيون اختصارات او اقتباسات من الكتب النحوية المشهورة واشهر الكتب التي اعتمدوها الفية ابن مالك والاجرومية [1] .

ومن اشهر مألفي الليبيين في الفقه والنحو والدين في العهد العثماني :

أ - محمد بن علي الخروبي :

وهو عالم وفقيه صوفي من مؤلفاته مزيل اللبس عن ادب واسرار القواعد الخمس ، شرح عن الصلاة المشيمية وشرح على حكم ابن عطاء الله ورسالة رد فيها على ابن عمر القسطلي له

مجلد من ثماني نسخ سمي برياض الازهار وكنز الاسرار توفي بالجزائر (969هـ ،1555م) [2] .

ب - عبد السلام الاسمر الفيتوري :

صاحب الطرقية الصوفية من مؤلفاته كتابة الانوار السنية ومجموعة من الوصايا والمواعظ خص بها اتباع طريقته الصوفية توفي سنة (981هـ ،1573م) .

ت - محمد بن شعبان :

اشتهر بالفقه وباتساع معارفه ، من مؤلفاته تشنيف المسمع في شرح المجمع ، تولى قضاء طرابلس كما ترك مجموعة من الفتاوى الفقهية والقضائية توفي سنة (1030هـ ، 1611م) .

ث - سعيد الشريف :

بلغ المرتبة العليا في النحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان وعلم الحديث ومصطلحه هو من مواليد (1112هـ ، 1700م) [3] .

ج - احمد بن عبد الرحمان الانصاري :

من مؤلفاته التعليق على البخاري وشرح الاجرومية ولي القضاء بعد والده ، توفي سنة (1155هـ ،1742م).

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص292 .

[2] احمد النائب الانصاري الطرابلسي ، المرجع السابق ، ص 199 .

[3] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص294

ح - محمد بن محمد الفطيمي :

اشتهر بعلوم الفقه والنحو له منظومة فقهية سماها بالضوء المقتبس في مذهب الامام مالك بن انس ، وله منظومة في التوحيد ومنظومة في النحو ، توفي سنة (1210هـ ، 1795م) .

خ - مصطفى الخوجة :

عينه الوالي احمد القرمانلي مستشارا له وكبيرا للكتاب ، بنى كتابا ومدرسة ومكتبة عامرة بالكتب المتنوعة ومسجد ، من مؤلفاته المسائل المهمة والفوائد الجمة فيما يطلبه المرء لما اهمه توفي سنة (1213هـ ، 1798 م) .

د - محمد بن قنونو :

من مؤلفاته منظومة في رسم الالف الثابتة والمحذوفة في رسم القران الكريم على طريقة الداني ، ومنظومة في المنطق ، منظومة في علم الفلك باسم ارشاد القاصي للمعنى المرسوم في المقدمة المسماة بالدر المنظوم ، في شيئ من علم الحساب والنجوم .

ذ - محمد بن محمد حسن ظافر المدني :

اتبع طريق والده في نشر الصوفية بفضله اصبح له اتباع كثيرون ، من مؤلفاته اقرب الوسائل لإدراك المسائل والانوار القدسية في شرح طرق القوم العلية في مناقب الشاذلية .

ر - محمد كامل بن مصطفى :

عالم ومصلح ديني فقيه في المذهب الحنفي تولى القضاء والافتاء والتدريس بدار طرابلس ، له مؤلفات في الفقه والقضاء وعلوم اللغة العربية اشهرها هي : الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية ، العبد الذليل على ربع انوار التنزيل هاذا حول تفسير سور من القران الكريم توفي سنة (1315 هـ ، 1897م) [1] .

[1] علي مصطفى المصراتي ، مرجع سابق ، ص 288 ، 292 .

المطلب الثاني : التعليم وعلم التاريخ

1 _ المدارس التعليمية :

ظلت ليبيا خالية من المدارس حتى سنة 1895 ، فقد كان التعليم الذي يقدم هو القراءة والكتابة العربية وفقا للطريقة التقليدية العتيقة ، والتعليم كله كان حول القران فقد كانت توجد مدارس تسمى الكتاب واستمرت حتى العهد الايطالي .

انشات الحكومة العثمانية بطرابلس وبنغازي ودرنة والخمس بعد سنة 1895 مدارس نظامية تقوم بالتعليم لأحدث النظم [1] .

ا ـ المدارس الابتدائية :

قامت الدولة العثمانية بالدعوة لانشاء المدارس سنة اجباريا سنة 1878 م ، لاكن كلف الاهالي بهذه المهمة [2] ، اعتمد التعليم الابتدائي على المجهود الذاتي من قبل الاهالي ، فالحكومة كان دورها الاشراف حتى عام 1883 ، كانت تامر الاهالي على طلب العلم ومحاربة الجهل ، ثم جعلت المداري اجبارية للجنسين .

ب ـ المدارس الرشيدية :

كان هناك نوع اخر من المدارس عرفت بالمدارس الرشيدية (1857 -1860م) ، بطرابلس وبنغازي وقسمت لقسمين عسكري ومدني ، لكنها ضمت اعداد قليلة [3] .

ج ـ المدارس الاعدادية :

استكمل بها طلاب المدرسة الرشيدية تعليمهم ، فتعد اتمام لمرحلة الابتدائية حيث تم انشاء هذه المدارس بطرابلس سنة 1867م [4].

د ـ مدرسة دار المعلمين :

اسست هذه المدرسة سنة 1901 م ، كانت مدة الدراسة بها سنتين ، ومن شروط القبول في هذه المدرسة ان يجيد الطالب القراءة والكتابة ويحفظ القران او سور منه وان يكون ملم بقواعد اللغة والمبادئ الاسلامية ولم يشترط السن ، انشاها الوالي حافظ محمد [5] .

---

[1] فرانشسكو كورو ، مصدر سابق ،ص99 .

[2] علي مفتاح ابراهيم منصور ، تاريخ ليبيا الثقافي والديني والاجتماعي من خلال الرحالين العرب خلال القرنين 18- 19 (1700-1900م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، ج 1 ، السنة الجامعية 2007/2006 ، ص 160

[3] رافت غنيمي الشيخ ، مرجع سابق ، ص 149 .

[4] نفس المرجع ، ص 149 .

[5] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 341

هـ ـ المدارس العسكرية :

اسست مدرسة رشدية عسكرية بطرابلس وبنغازي سنة 1857 م ، درب بها الاجيال على فنون القتال والعلوم العسكرية [1].

و ـ مدرسة الفنون والصنائع :

تعتبر مؤسسة خيرية بسبب إيوائها للأيتام والفقراء والمشردين ، بدات تؤدي رسالتها في عهد الوالي نامق باشا عام 1898 ـ 1899م فقد كانت تدرب ابنائها على حرفة من الحرف (النجارة ، اعمال المعادن ، والنسيج ، والطباعة) [2].

زـ مؤسسات تعليمية اخرى :

انشئت بطرابلس مدرستين هما :

مدرسة او مكتب العرفان : انشئ سنة 1901 م لإتاحة التعليم الاعدادي يعادل الثانوي حاليا للمسلمين ، أنشئت لمنافسة مدارس الجاليات الاجنبية خاصة المدارس الايطالية والفرنسية

روضة الاطفال : تأسست سنة 1910 م عند انتهاء الحكم العثماني وبداية الحكم الايطالي ، سميت بحديقة الولدان [3].

لدينا الجدول التالي يوضح عدد المعلمين والطلبة الداخليين والخارجيين [4] :

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 342

[2] رافت غنيمي الشيخ ، مرجع سابق ، ص152 - 153

[3] نفس المرجع ، ص158 - 159

[4] فرانشسكو كورو ، مصدر سابق ،ص99 .

الر قم	المدارس	المعلمون	خارجي	داخلي
1	مدرسة ابتدائية للذكور (3سنوات)	3	132	–
2	مدرسة ابتدائية للاناث (3سنوات)	3	160	–
3	مدرسة اعدادية	6	70	–
4	دار المعلمين	2	20	–
5	المدرسة العسكرية (5سنوات)	10	80	
6	مدرسو الفنون والصنائع	4	-	70
7	مدارس اخرى	14	490	65
8	مكتب العرفان	7	100	–
	المجموع	49	1052	135

2 _ علم التاريخ :

هو علم سار جنب لجنب معا علوم الدين واللغة ، اهتم العرب الليبين بالتاريخ وكان هذا بفضل المؤرخين الذين تركوا مؤلفاتهم بينو لنا فيها الاحداث [1] .

و سنذكر بعض المؤرخين من العصر العثماني:

أ_ محمد بن خليل ابن غلبون :

يذكر له اعمال طيبة ، كما انه كان قريب من الحكام القرمانليين ، كتابه التذكار وصف فيه طرابلس وما فيها من خيرات ردا على وزير مغربي ذم طرابلس ، لا يعرف تاريخ وفاته [2] .

[1] علي مصطفى المصراتي ، مؤرخون من ليبيا ، ص 120 .

[2] المرجع نفسه ، ص 274 .

ب _ حسن الفقيه حسن :

كان من رجال الاعمال المشهورين وذوي الجاه ، كان يسجل كل ما يحدث سوآءا له او للحكام او البلاد بكل الجوانب ، لكن سنة 1922 صودرت اوراقه لصلته معا الحكام وما يعرفه من اخبار سياسية ...الخ [1].

ج _ محمد بن عبدالجليل سيف النصر :

هو من فزان كتابع بعنوان ري الغليل في اخبار بن عبد الجليل تحدث فيه عن احداث ووقائع ليبيا والبلاد العربية التي زارها كما وصف العادات والتقاليد المناطق التي زارها انتهى من تاليفه سنة 1852م توجد منه نسخة واحدة بالمكتبة الوطنية بباريس [2] .

د _ احمد النائب الانصاري :

له كتابان (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) ،(نفحات النسرين والريحان في ترجمة من كان بطرابلس من الاعيان) [3] .

هـ _ محمود ناجي ومحمد نوري :

اخوان الفا كتابا حول تاريخ ليبيا باللغة التركية عام 1912 بعنوان طرابلس الغرب تررجمه اكمل الدين محمد احسان وترجم ايضا من قبل محمد الاسطى وعبدالسلام ادهم ، هاذا الكتاب مصدر مهم [4] .

3_ الحركة الأدبية

على الرغم من اضطراب الأحوال السياسية و الاجتماعية و الثقافية و تباين لأجواء الفكرية و الثقافية ، فإن موكب الأدب لم يتوقف مسيره ، و ظل الشعر على وجه الخصوص محتفظا بمكانته التقليدية المرموقة ، و ظل الناس يتداولونه و يتذكرونه و يتسامرون به ، و كذا الحال بالنسبة للأدب النثري . و كانت هذه الظاهرة الأدبية تشمل كل الوطن العربي .

1 . الشعر :

ظل الشعر محافظا على استمراريته مغطيا حيزا واسعا من ساحة الحياة الأدبية في المجتمع الليبي ، و قد عرف في كل جيل مجموعة من الشعراء الذين برزوا و اشتهروا بشاعريتهم المميزة ، غير أن الشعر في هذه الفترة بصفة عامة غلبت عليه الصنعة و التكلف ، و البعد عن التعبير الصادق عن النفس و تصوير مشاعرها بصدق و عفوية ، هذا باستثناء الشعر الديني ، الصوفي ، و شعر المدائح النبوية و الابتهالات و التضرع ، الذي نلمس فيه نوع من حرارة العاطفة و الصدق . فالشعر في العهد العثماني خرج عن

[1] حسن الفقيه حسن ، اليوميات الليبية ،الجزء الاول ، ت : محمد الاسطى وعماد جحيدر ، ص 135 .

[2] علي مصطفى المصراتي ، مرجع سابق ، ص 204 .

[3] المرجع نفسه ، ص263 .

[4] المرجع نفسه ، ص 219 .

طابعه ، على أن يكون الأداة الأدبية التي يعبر بها الشاعر عن أحاسيس و مشكلات و هموم مجتمعه ، و صار وسيلة لعرض العضلات الثقافية ، و مسلكا للترفيه و التسلية و ازجاء أوقات الفراغ ، و طريقا للمناصب و المغانم بنظم قصائد طويلة تمدح الحاكم و تعظم من شأنه [1] .

حتى شعر الغزل و الحب ، فقد كان شعرا غير صادق و غير متماشي مع المناخ الاجتماعي الذي كان مهيمنا في ذلك العصر ، حيث النساء رهينات الحجرات المغلقة راسفات في القيود الاجتماعية القاسية ، خاصة في المدن ، الامر الذي جعل من الصعب ، إذ لم يكم من المستحيل أن يرى الشاعر فتاته ليحادثها و يقع في حبها ، ثم ليحترق بنيران صدها و تجافيها ، ليخرج بعد ذلك من أعماقه نفثات شعرية ملتهبة صادقة . و الشعراء الذين نظموا في الغزل و في الحبيب ، كانوا يستمدون تلك الصور الغزلية مما قرؤوه أو حفظوه من شعر العرب الذي كانت تمتلئ بع كتب الأغاني ، فكانوا يتخيلون و يحلمون ، ثم ينظمون بما حلموا و تخيلوا . و كان الشاعر محمد العربي من أبرز شعراء ذلك العصر الشاعر محمد العربي الذي وصف حبيبته ، و الشاعر أحمد بن أمين الذي وضع قصيدة قصيرة تجاوزت أبياتها مائة بيت للحديث عن مشروب الشاي : تعريفه ، أقسامه ، منافعه و مضاره ، كيفية إعداده و طهيه ، شربه ممزوجا بالعنبر ... الخ .

و من الشعراء الذين عرفوا و اشتهروا في ذلك العصر :

أ – أحمد البهلول :

و هومن أدباء و شعراء طرابلس في القرن الحادي عشر هجري اشتهر بورعه و تصوفه ، و أهم قصائده تلك التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم ، جمعت في ديوان طبع مرات في القاهرة ، و القصائد مرتبة على حروف المعجم ، و كعادة الصوفيين في أشعارهم ، فقد كثر في شعر البهلول التغزل و التشبب ، توفي سنة 1701 م [2] .

ب – أحمد بن عبد الدائم الأنصاري :

من شعراء القرن الثامن عشر ميلادي اشتهر بقصيدته التي أوردها ابن غلبون في كتابه التذكار [3] ، و التي رد فيها على الرحالة المغربي العبدري ، الذي هجا فيها طرابلس ، و معظم شعره ضاع ، و كان مدرسا للفقه و له فتاوى كثيرة [4] .

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 307 .

[2] علي مصطفى المصراتي ، أعلام من طرابلس ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع ، ط 4 ، 1986 م ، ص 119 و ما بعدها .

[3] عبد الله محمد بم خليل ابن غلبون الطرابلسي ، التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخيار ، ت : الطاهر أحمد الزاوي ، دار المدار الإسلامي ، ط 2 2004 .

[4] علي مصطفى المصراتي ، مرجع سابق ، ص 155 و ما بعدها .

ج – أحمد الفقيه حسن :

من شعراء القرن التاسع عشر ، ولد بطرابلس ، و درس أتقن بجانب اللغة العربية ، اللغتين التركية و الفرنسية ، و قد ترجم إلى العربية كتاب لأحد الرحالة الفرنسيين . له ديوان صغير و توفي عام 1878 م [1] .

د – مصطفى بن زكري :

شاعر و أديب من طرابلس ، عمل في الإدارة العثمانية و تولى إدارة مدرسة الفنون و الصنائع ، له ديوان شعري مطبوع في مصر عام 1891 م توفي عام 1918 م [2] .

هـ - أحمد الشارف :

من الشعراء المخضرمين ، عاش في العهد التركي و الإيطالي و الملكي ، و في العهد التركي عاش حوالي 40 سنة ، من بلدة زليطن شرقي طرابلس ، و هو شاعر مطبوع دعي شيخ الشعراء ليبيا لجزالة شعره و سلاسته و خلوه من الصنعة و التكلف ، و قد نظم في معظم الأغراض الشعبية ، توفي عام 1959 و قد ناهز التسعين [3] .

2 . الأدب النثري :

تأثر الأدب النثري في ليبيا بالأنماط التي كانت سائدة في الوطن العربي كالولوع بالمحسنات البديعية خاصة السجع ، و التقعر باللغة و استعمال وحشي الألفاظ و أغربها ، و بشكل عام كانوا يهتمون بالشكل على حساب المضمون . و تمثل الأدب النثري في الخطابة و الرسائل و الحكايا و الأمثال و الحكم ، ثم في العهد العثماني المتأخر ، بالمقالة الأدبية الصحفية . و خلت الساحة الأدبية في ذلك العصر ، من دراسات أدبية نقدية ، و من الفنون الأدبية الأخرى كالقصة و الرواية و المسرحية [4] .

كما عرف الأدب النثري الليبي قصصا و حكايا وعظيه تعليمية قصد من تأليفها إرشاد الناس و تبصيرهم بالعواقب المظلمة للمخطئين و ذوي النوايا السيئة و العصاة ، و بالعواقب المفرحة السعيدة لذوي النوايا و الاعمال الحسنة .

كما تتناثر حكم الوعاظ و علماء الدين و رجال الصوفية في كتبهم و رسائلهم ووصاياهم ،

و كذلك في كتب من ترجم لهم [5] .

---

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 311 .

[2] علي مصطفى المصراتي ، مرجع سابق ، ص 183 و التي بعدها .

[3] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 311 – 312 .

[4] المرجع نفسه ، ص 302 .

[5] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 305 .

3. النشر و المطابع :

لم تعرف ليبيا في العهد العثماني صناعة الكتب ، فالمطابع القليلة كانت مخصصة لطباعة الصحف و البيانات و البلاغات و الأوراق الرسمية ، و قد أصدرت الدولة العثمانية قانونا للمطبوعات عام 1281 هـ / 1864 م ثم لم يلبث أن ألغته و أصدرت قانونا جديدا للمطبوعات و اخر للمطابع في عام 1327 هـ / 1909 م .

و أول مطبعة دخلت طرابلس كانت مع صدور الجريدة التي عرفت باسم جريدة طرابلس الغرب عام 1866 م، زمن الوالي محمود نديم ، و كانت مطبعة حجرية من نوع الليتوغرافية ، و استمرت على ذلك حتى عام 1870 م ، حين أسست في قاعة السراي الحمراء مطبعة الولاية بحروف عربية و تركية ، ثم أنشئت مدرسة الفنون و الصنائع (أسست عام 1897 م) فرعا للطباعة و نقلت إليها مطبعة الولاية كما جلبت الآلات و حروف حديثة ، و في عام 1908 م و جدت مطبعة الترقي على يد شركة أهلية مساهمة ، و أخذت مقرا لها بسوق الترك و طبعت فيها جريدة الترقي ، و تلتها مطبعة أربيب بمحلة جامع سيدي محمود عام 1908 م و التي سميت بعد ذلك بالمطبعة الدولية ، و هي مطبعة أدخلت الحروف اللاتينية للولاية ، ثم تلتها المطبعة الشرقية عام 1910 م و صاحبها يهودي اسمه إبراهيم تشوبه ، و كانت تطبع الحروف اللاتينية و العبرية [1] .

[1] المرجع نفسه ، ص 312 .

المطلب الثالث : الفن المعماري

شهدت البلاد الليبية عبر العصور أقواما عديدة استوطنت فيها و أقامت عليها ممالك و إمارات ، تاركة بعد رحيلها معالم معمارية متنوعة، متفاوتة في قيمتها الحضارية و الجمالية ، غير أن المعمار الليبي المحلي لم يتأثر التأثير الجذري العميق ، إلا بالطابع المعماري الإسلامي ، الذي اتسم بالبساطة و الروحانية الوجدانية ، و يتجلى ذلك في بناء المنازل و دور العبادة ، الفنادق و غيرها ، و في العهد التركي كان للمدرسة العثمانية بصماتها على عدد من المباني و المنشآت و الزخارف المعمارية ، و يمكن القول أن الفن المعماري الليبي هو مزيج من ثلاث مدارس فنية :

- المدرسة المحلية القديمة .

- المدرسة المغربية .

- المدرسة العثمانية .

و جميعها كانت ضمن الإطار الإسلامي المميز ، و ستتضح خصائص هذا المعمار من خلال استعراضنا الموجز لأهم المعالم المعمارية التي كانت قائمة في طرابلس الغرب في العهد العثماني [1] .

1_ العمارة الدينية في طرابلس :

تتميز مدينة طرابلس بكثرة مساجدها ، فقد أجمع معظم الرحالة الذين زاروا المدينة في عصور مختلفة أن " مساجد البلاد كثيرة لا تحصى " ، فمعظم المساجد الباقية في مدينة طرابلس ترجع إلى فترة العصر العثماني الأول ، و العصر القرمانلي ، و العصر العثماني الثاني ، حيث تشكل هذه الفترات مرحلة جديدة متميزة في تطور فن العمارة و الزخرفة في طرابلس . و من أشهر المساجد في طرابلس ، جامع درغوت باشا [2] ، جامع قورجي ، جامع أحمد باشا القرمانلي ... .

أ . المساجد :

- جامع أحمد باشا القرمانلي (نموذج) : يقع وسط مجموعة من أسواق مدينة طرابلس القديمة ، يقال أن المكان الذي يشغله هذا المسجد كان يضم من قبل مساكن جنود الانكشارية من الترك و مكان اجتماعاتهم ، كما كان يوجد بنفس المكان مسجد الديوان [3] . بنى الجامع أحمد باشا القرمانلي الذي استطاع الاستقلال بحكم طرابلس استقلالا إسميا عن الدولة العثمانية ، استمرت من 1123 هـ / 1711 م حتى سنة 1250 هـ / 1835 م . و المسجد أنشئ سنة 1149 هـ / 1737 م .

---

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 353 .

[2] درغوت باشا : أبرز ملاحي أسطول السلطان سليمان القانوني ، و في سنة 1551 م تمكن من فتح طرابلس و انتزاعها من أيدى فرسان القديس يوحنا ، و هو ثاني والي عثماني في طرابلس ، اتخذ هذا الأخير طرابلس قاعدة لنشاطه البحري في البحر المتوسط .

[3] رود لفوميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ت : طه فوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس – ليبيا ، ص 79 .

الوصف المعماري للجامع :

يعد الجامع من أهم مساجد مدينة طرابلس و من أكبرها مساحة ، كما أنه يعد من أول نماذج المجمعات المعمارية في العمارة الليبية ، إذ يضم إلى جانب بيت الصلاة مدرسة من طابقين و ضريح المنشئ لدفن أفراد أسرته ، و الجامع من أغنى مساجد طرابلس زخرفة ، حيث زخرفت جدرانه من الداخل و الخارج ، حتى بلاطاته الزخرفية متنوعة في زخارفها و مصادرها ، إذ أن بعضها مجلوب من تركيا و البعض من تونس ، البعض أوروبي الصنع [1] . فقد أثنت على زخرفته " توللي " التي عاشت عشرة أعوام في طرابلس ، و كذلك الرحالة " أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي الذي زار طرابلس سنة 1896 م أي بعد بناء الجامع بما يزيد عن نصف قرن من الزمان ، فقد ذكر أن الجامع « في غاية الاتقان بحيث لم ير مثله [2] » .

يشتمل الجامع على محراب مجوف يكسو الجزء الأسفل منه بلاطات خزفية ، أما الجزء الأعلى مغطى بزخارف جصية دقيقة عبارة عن أشكال نجمية متداخلة ، و يفصل بين الجزئيين شريط .

كتابي يتضمن الآية الكريمة « حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و قوموا لله قانتين [3]» .

أما المنبر فهو من الرخام الملون الملبس بقطع من المرمر ، زخارفه منفذة حسب الطراز الرومي المتبع في زخرفة المنتجات الفنية العثمانية ، و تمتد هذه الزخارف على ريشتي المنبر ، و يغطي الجوسق قبة معدنية مقامة على أربعة أعمدة .

و المئذنة تتكون من قاعدة مربعة يقوم عليها بدن مثمن يزخرف كل ضلع من أضلاعه أشكال مستطيلات معقودة تمتد بطول البدن ، يعلو هذا الطابق شرفة مثمنة تستند على كوابيل حجرية ، و ينتهي بدن المئذنة بقمة مخروطية مدببة من الخشب ، و يوجد على المئذنة كتابة تتضمن تاريخ بناءها في سنة 1838 م .

و خلف جدار القبلة توجد حجرتان ، يغطي احداهما قبة نصف كروية ، و هي خاصة بضريح المنشئ ، يتصل بها حجرة أخرى مغطاة بقبو متقاطع ، مدفون فيها بعض أفراد الأسرة القرمانلية .

و يلحق بالجامع مدرسة في طابقين تعد أقدم مثال باق للمدارس الملحقة بالمساجد في العمارة الليبية . و تحتل المدرسة الركن المحصور بين الضبع الشمالي العربي و الضلع الجنوبي الغربي من الصحن . و تشبه هذه المدرسة في تخطيطها مدرسة عثمان باشا الساقزلي [4] ، و تأثرت العمارة الدينية بطرابلس بمجموعة من التأثيرات ، أهمها :

التأثيرات التونسية و العثمانية ، و أيضا الأوروبية .

---

[1] د . صلاح أحمد البهنسي ، طرابلس الغرب " دراسات في التراث المعماري و الفني " ، دار الأفاق العربية ، ط 1 ، 2004 م ، ص 56 .

[2] علي فهمي خشيم ، الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية ، طرابلس – ليبيا ، ط 2 ، 2008 ، ص 143 .

[3] سورة البقرة ، اية 238 .

[4] صلاح أحمد البهنسي ، مرجع سابق ، ص 58 .

ب . المدرسة :

المدرسة عبارة عن معهد ثانوي تدرس فيه مبادئ الأحكام الشرعية أيضا ، ظهرت أولا في الشرق في القرن العاشر للميلاد الموافق للقرن الثالث للهجرة .

1 . مدرسة عثمان باشا الساقزلى :

انشأها عثمان باشا الساقزلى الذي حكم طرابلس سنة 1649 هـ / 1059 م ، بعد وفاة محمد باشا الساقزلى ، إلى أن تجرع السم و مات في سنة 1672 هـ / 1083 م [1] . اهتم أثناء حكمه بالأسطول حتى بلغت أساطيل طرابلس أربعة و عشرين اسطولا [2] .

الوصف المعماري للمدرسة :

الشكل العام للمدرسة غير منتظم الأضلاع ، داخل المدرسة يوجد مدخل في الواجهة الجنوبية الشرقية معقود بعقد نصف دائري من صنجات من الحجر الوردي (رخام مالطة) ، يعلو المدخل اللوحة التأسيسية التي تشتمل على اسم المنشئ " عثمان باشا " ة تاريخ الانشاء . يتوسط المدرسة صحن مكشوف تتوسطه بركة رخامية مربعة ، و يحيط بالصحن من أربع جهات رواق من بائكة من ثلاثة عقود نصف دائرية محمولة على أعمدة رخامية معظم تيجانها من النوع الحفصي ، و يغطي كل رواق من الأروقة الأربعة قبو طولي ، فيما عدا البلاطات التركية فأتها مغطاة بقبة نصف كروية محمولة على مثلثات مقلوبة .

من الأروقة توجد خلوات الطلبة و التي يبلغ عددها أربع عشرة خلوة ، تشتمل كل منها على فتحة باب و نافذة ، كما تشتمل على دخلات صماء معقودة تستخدم لوضع المسرجة أو المصباح و أدوات الطلاب ، و كذلك على سدة خشبية تستخدم كسرير . و يغطي كل خلوة قبو برميلي . و عبر إيوان معقود في الجهة الجنوبية الشرقية من المدرسة يدخل إلى المسجد .

المسجد عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها خمسة أمتار ، يتخلل جدرانه خمس فتحات نافذة و يتوسط المحراب جدار القبلة ، و يغطي المسجد قبة نصف كروية ترتكز على مثلثات مقلوبة قليلة العمق .

إلى جانب المسجد يوجد ضريح ، و هو عبارة عم مساحة مربعة طول ضلعها ستة أمتار ، تتخلل جدران الضريح ثماني نوافذ مستطيلة . يغطي حجرة الضريح قبة نصف كروية ترتكز على مثلثات مقلوبة و تتشابه قبة الضريح مع قبة المسجد ، و لا تختلف عنها إلا في وجود فتحات صغيرة في بدن القبة ، يعلو قطب القبة شكل عمامة ، و هو الشكل الذي شاع أعلى شواهد قبور الشخصيات الهامة في العصر العثماني [3] .

---

[1] الطاهر أحمد الزاوي ، ولاة طرابلس " من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي " ، دار الفتح للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 1390 هـ - 1970 م ، ص 183 – 184 .

[2] أحمد بك النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس الغرب – ليبيا ، ص 239 .

[3] صلاح أحمد البهنسي ، مرجع سابق ، ص 70 – 71 .

ج . الزاوية :

لعبت الزاوية في ليبيا و في الشمال الإفريقي دورا مهما في نشر التعليم و تعاليم الدين الإسلامي ، بل يمكن اعتبارها المؤسسة الرئيسية التي حفظت دين و لغة الليبيين .

تتألف الزاوية من بناء يحتوي على حجرة للدرس و لقراءة الأذكار و الأوراد ، و كذلك حجرات أو خلوات لإيواء التلاميذ ، الذين يفدون من المناطق النائية مجانا دون مقابل مع حجرة للصلاة، تضم منبرا و محرابا و حجرات لحفظ المؤونة و الأثاث و استضافة الزوار و أبناء السبيل ، و كانت جميع هذه المرافق تقع حول فناء مركزي يشبه صحن المسجد ، و غالبا ما يطوق البناء سور متوسط الارتفاع [1] .

[1] د . غاسبري ميسانا ، المعمار الإسلامي في ليبيا ، ت : علي الصادق حسنين ، 1973 ، ص 106 – 107 .

2 _ العمارة المدنية :

أ . المنازل :

تضم مدينة طرابلس القديمة عددا من المنازل الأثرية ، معظمها يرجع إلى العصر العثماني الأول ، و العصر القرمانلي ، و كذلك العصر العثماني الثاني ، و قد بدأ هذا الفن العمراني في عهد درغوت باشا . و من أهم المنازل الأثرية منزل القرمانلي بشارع الأربع عرصات ، و منزل قورجى بشارع سوق الحرارة ، و منزل بن موسى بشارع الدروج ، و يعد منزل القرمانلي و منزل قورجى من أكثر منازل طرابلس احتفاظا بعناصرها المعمارية و الزخرفية [1] . و بصفة عامة كانت جميع بيوتها القديمة مبنية على الطراز الدمشقي [2] .

تخطيط المنزل الطرابلسي :

جاء تخطيط المنزل الطرابلسي متماشيا مع القيم الدينية و الاجتماعية السائدة المجتمع ، أساس تخطيطه يقوم على تحقيق الخصوصية لأهل المنزل و عزلهم عمن بخارجه ، حتى أن مابل لومس تود في كتابه ذكر هذه المنازل و خصصها " ببيوت الحريم " . و قد تحقق ذلك من خلال عدة نقاط ، أهمها :

1 . المدخل المنكسر :

جعل المدخل الرئيسي للمنزل منكسرا و ليس مستقيما حتى لا يمكن للمار بالشارع رؤية من بالداخل ، و يسمى هذا الممر في العرف الليبي بالسقيفة ، على أحد جوانبه حجرة خاصة برب البيت يستقبل فيها زائريه بمجرد دخولهم من المدخل الرئيسي ، حتى يكون بمعزل عن بقية أفراد المنزل ، و تسمى هذه الحجرة " المربوعة " و هي الحجرة الوحيدة التي تفتح نوافذها على الشارع .

2 . الفناء الأوسط :

يعد هذا الفناء المحور الأساسي لتخطيط المنزل الطرابلسي ، فلكل بيت ، و حتى أبسط البيوت " باحته " [3] المكشوفة ، إذ تفتح عليه أبواب و نوافذ حجرات المنزل ، فهو مصدر الضوء و الهواء ، دون الحاجة لفتح نوافذ في الجدران الداخلية و الخارجية للمنزل ، و كان مثل هذا الموضع من البيت يغطى غالبا هنا و هناك بعريشة " زهرة الالام " [4] المكسوة بالنوار [5] ، تملؤه حياة سعيدة ، و لكنها محدودة بنوع من السعادة كل النهار و تهجر عند المساء . يوجد أيضا الدرج الذي يصعد منه إلى الطوابق العليا . و يحفر على أرضية الفناء خزان المياه الذي يعد المصدر الأساسي للمياه لسكان المنزل .

و نظرا لأن الفناء الأوسط هو مكان النشاط اليومي لأهل المنزل خاصة السيدات و مكان قضاء أوقات الراحة و السمر لكل أفراد الأسرة ، لذلك كان يهتم بإضفاء لمسات جمالية على الفناء ، فكانت أرضيته

[1] صلاح أحمد البهنسي ، مرجع سابق ، ص 81 – 82 .

[2] د . نزيه كباره ، طرابلس في القرن العشرين ، جامعة المنار في طرابلس ، ط 1 ، 2012 م ، ص 208 .

[3] تسمى الباحة في ليبيا وسط الحوش .

[4] تدعى " الساعة " في بعض الأقطار العربية .

[5] مابل لومس تود ، أسرار طرابلس ، لندن ، 1985 ، ط 2 ، ص 109 .

تغطى بالرخام الذي تشكل منه في بعض الأحيان تشكيلات زخرفية بديعة . و في المنازل الأسر الميسورة الحال كانت تتوسط الفناء فسقية (فوارة) للمياه ، لتلطيف حرارة الجو صيفا و إشاعة البهجة و السرور على الجلوس ، كما كانت تحاط بأواني الزهور [1].

و قد كانت منازل مدينة طرابلس ، غالبا تتألف من طابقين ، و الغرفة تكون بشكل مستطيل لها نافذة أو نافذتين مطلتين على الفناء فقط ، و تبنى في بعضها سدة من الخشب مرتفعة واسعة ، تستعمل للنوم ، و يستعمل في بناء البيوت الحجارة و نوع من الاسمنت (الملاط) و الجص و الرمل و سعف النخيل و جذوع الأشجار الأخرى [2].

ب : الشوارع :

شوارع المدن كانت ضيقة في الأحياء الشعبية حيث يتراوح عرضها بين مترين و ثلاثة أمتار ، كما أنها ليست على استقامة واحدة بل تكثر فيها الانعطافات ، بينما كانت الشوارع الرئيسية واسعة ، خاصة الشوارع التي فتحها الولاة في العهد العثماني الثاني فكان شارع ميزران بطرابلس ، و هو من الشوارع التي شقت في العهد الأخير ، بعرض 18 مترا و على استقامة واحدة بطول 345 مترا ، و قد رصفت بأحجار جلبت من الخارج و على جانبيه بنيت أرصفة للمشاة .

و كانت الشوارع الرئيسية تضاء ليلا بقناديل الزيت ثن استعمل الكيروسين (الغاز) ، أما الشوارع الثانوية الأخرى فكانت غير مضاءة ، لكن الأتراك أوجبوا على كل من يريد التجول ليلا حمل فانوس بيده تحت طائلة العقوبة [3].

و في السنوات الأخيرة نصبت في الشوارع الكبيرة و الساحات و تقاطع الشوارع ، و كان هناك موظف مختص يتولى إملاء قناديل و مصابيح الإضاءة بالزيت و الكيروسين ، و إشعالها مساء و إطفائها عند الفجر ، و في سنة 1910 م تعاقدت بلدية طرابلس مع إحدى الشركات الفرنسية على إنارة طرابلس بالكهرباء و تسيير الحافلات كهربائية (ترام) داخل المدينة و ربطها بالضواحي ، و قد نفذ في العام التالي مشروع الإنارة بالكهرباء و لم ينفذ مشروع الحافلات بسبب الغزو الإيطالي [4].

ج . الحمامات :

كانت الحمامات العامة شائعة في معظم بلدان العالم الإسلامي بشكل جعل بعض مؤرخي الغرب يتمنى أن تشتمل جميع مدن أوروبا الهامة على مثل هذه الحمامات [5] ، و هذه الحمامات لم تكن مجرد أماكن للاستحمام فقط ، بل كانت مكانا للترفيه و التسلية ، و عقد صفقات تجارية .... إلخ ، كما كانت منتديات اجتماعية ترتبط بالعديد من المناسبات ، و بصفة خاصة الزواج ، و انتهاء فترة نفاس المرأة .

---

[1] صلاح أحمد البهنسي ، مرجع سابق ، ص 82 .

[2] السيدة توللي ، مصدر سابق ، ص 87 و ما بعدها .

[3] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 32 .

[4] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 33 .

[5] جوستاف لوبرن ، حضارة العرب ، ت : عادل زعيتر ، ط 3 ، ص 381 .

كما كان يقوم على خدمة الحمام و المستحمين عدد من العاملين ، منهم :

- الحمامي : و هو الذي يعطي المستحم المئزر ، و يستلم منه ملابسه و حاجياته .

- القيم : يقوم بتنظيف الحمام و تبخيره .

- السقاء : يتولى توصيل الماء إلى الحمام .

- الوقاد : يتولى إشعال النار لتسخين المياه .

- المدلك : يقوم بأعمال التدليك و تليين العضلات .

- المزين : يقوم بأعمال الحلاقة ، و أعمال أخرى مثل : الختان أو امتصاص الدم الفاسد .

و في الحمامات الخاصة بالنساء كانت توجد الماشطة و البلانة اللتان تتوليان تزيين النساء [1].

تشبه حمامات طرابلس مثيلاتها في مصر و تركيا و غيرها من بلاد العالم الإسلامي ، إلا أنها أقل مساحة ، و كذلك في قيمتها الجمالية ، و من أهم الحمامات القديمة الباقية بها حمام درغوت ، و حمام الحلقة الذي يرجع إلى العصر لعثماني ، و الحمام الكبير الذي يقع في منطقة الأربع عرصات و تبقت منه القاعة الساخنة و القبة التي تغطيها ، بينما تحولت بقية أجزاء الحمام إلى منشأة تجارية [2].

يتكون الحمام من فناء داخلي مسقوف ذي حرارة طبيعية ، يؤدي إلى فناء اخر دافئ ثم إلى فناء ثالث ساخن ، حيث تتوزع منه مقاصير أو حجرات حامية في كل منها صنابير تحمل ماء ساخنا و أخرى تحمل ماء باردا ، يأتيها من خزانين للمياه كبيرين مقامين في جانت البناء في مستوى مرتفع عنه ، و يمتد موقد كبير تحت أحدهما ، يوقد بالأخشاب و بنوات التمور و الزيتون و روث الحيوانات ، و سقف الحمام مؤلف من قبة أو اكثر فيها فتحات صغيرة مغطاة بنوع من الزجاج الملون يسمح بدخول النور الخارجي إلى الأفنية ، و يعتبر الحمام المجاور لجامع درغوث أحسن الحمامات الموجودة في طرابلس و يعود انشاءه إلى عام 1013هـ / 1604 م [3] .

د . الفندق :

الفنادق مأخوذة عموما عن الفرس ، فلم يعرف العرب نظام الفنادق ، و في ليبيا يعتبر بناء الفندق أمرا مستحدثا ، فقد كان الغريب الذي يصل بلدا أو قرية ما ، يستضاف عند واحد من أهل ذاك البلد ، أو يأوي في خلوات المساجد ، و بتطور الحركة التجارية ازدادت حرمة الناس و تنقلهم ، أوجب تخصيص أماكن للغرباء للسكن و الراحة مقابل أجر مالي ، عرفت هذه الأماكن بالنزل أو الفنادق ، عرفت هذه الفنادق أيام

[1] صلاح أحمد البهنسي ، مرجع سابق ، ص 85 .

[2] المرجع نفسه ، ص 86 .

[3] غاسبري ميسانا ، مرجع سابق ، ص 239 – 242 .

المماليك بالخانات في المشرق و هي لفظة فارسية ، و كثر بناء الفنادق في ليبيا ، و على الأخص في مدينة طرابلس ، أيام العثمانيين [1] .

يتألف الفندق بصفة عامة من فناء داخلي متسع محاط بحجرات متعددة و مرافق عامة في دورين ، يتصل الدور الأول بالدور الثاني بسلم حجري ، و يشغل حجرات الدور الأول كمخازن و مستودعات للبضائع و السلع التي يجلبها التجار معهم و كذلك اسطبلات لحيوانات ركوب المسافرين ، أما حجرات الدور العلوي فتخصص لمبيت زبائن الفنادق . و فنادق ليبيا تكون متشابهة في طريقة البناء و اختلافها انما يكون في الحجم و المساحة ، تشرف أبوابها و نوافذ الحجرات على الفناء الداخلي و ربما وجدت بعض الكوى أو النوافذ المطلة على الشوارع الخلفية للفندق ، و أمام الحجرات السلفية و العلوية رواق قائم على دعائم متصلة ببعضها بأقواس نصف دائرية ، و الباب الخارجي المؤلف من مصراعين خشبيين كبيرين ، و في بعض الفنادق نجد أن أحد المصراعين يحتوي على باب صغير منخفض يسمح بدخول أو خروج النزلاء ، و لا يفتح الباب الكبير إلا حين إخراج أو إدخال البضائع و يغلق الباب الكبير و الصغير بعد العشاء من الداخل بتروس جديدة ضخمة ، و أهم فنادق طرابلس فندق الخوجة و فندق ابن زكري ، الهنشيوي ، الزهر و ميزران ، حسان [2] .

هـ . الأسواق :

أسواق طرابلس القديمة هي عبارة عن مجموعة من الحوانيت مستطيلة الشكل حول ممر يتوسطها ، و يتقدم كل حانوت مصطبة تعرض عليها بعض البضائع كما يجلس عليها البائع في أوقات الراحة ، أما الممر الأوسط فأنه يكون مكشوفا في حالة الأسواق ، و تتم تغطيته بقطع من القماش السميك لتفادي الحرارة و المطر . و مدينة طرابلس تضم أيضا بعض القيساريات (البازارات) و هي تختلف عن الأسواق أن لها أبواب تغلق عليها عند نهايتي الممر الذي يتوسط الحوانيت ، كما أن الممر يكون مسقوفا بأقباء متقاطعة و تتخلله فتحات للإضاءة و التهوية ، أي أنه يشكل وحدة معمارية مستقلة [3] . و مما يجدر بالذكر أن منتجات مدينة طرابلس و دواخلها ظهرت لأول مرة في معرض أوروبي سنة 1851 م [4] .

---

2 تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص

[2] غاسبري ميسانا ، مرجع سابق ، ص 116 و ما بعدها .

[3] صلاح أحمد البهنسي ، مرجع سابق ، ص 90 .

[4] سعيد علي حامد ، المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بمدينة طرابلس ، 1978 م ، ص 32 .

الخاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع يمكننا الوصول إلى العديد من النتائج التي من بينها :

1 – المجتمع الطرابلسي كغيره من المجتمعات الأخرى ينقسم إلى قسمين حضري و هم سكان المدن ، و بدوي و هم سكان الأرياف و الواحات .

2 – لدراسة أي مجتمع يجب دراسة تركيبه الاجتماعي كالسكان و الطبقات الاجتماعية ، وضع المرأة و مكانتها فيه ... إلخ .

3 – كان وضع المرأة في المجتمع منحط نتيجة تخلف المجتمع ، و استقرار في عقل الرجل أن المرأة ناقصة عقل و دين و أنها ليست أهلا بالثقة و سيئة التدبير .

4 – سكان طرابلس الغرب مزيج من السلالات المختلفة ، منهم السكان الأصليون و السكان الوافدون إلى ليبيا كاليهود و المسيح ... إلخ . إضافة إلى السكان المستقرون و الرحل .

5 – التركيب الأسري في طرابلس الغرب تنتظم فيما يعرف بالأسر الأبوية الممتدة و المركبة ، بمعنى أن المساكن كانت تزدحم ببقاء العائلة بأكملها معا .

6 – طباعهم كانت تتسم بالهدوء و الوقار ، و كانوا معروفين بحسن السمعة و حسن المعاملة مع القريب و الغريب و حسن الجيرة ، و قد أثنى عليهم العديد من الرحالة في كتاباتهم عندما زاروا الولاية .

7 - لكل شعب من شعوب الأرض تقاليده و عاداته تميزه عن باقي غيره من الشعوب ، و كثيرا ما تكون هذه العادات وليدة حكايات شعبية ، أو أساطير يتناقلها الأحفاد عن الأجداد ، يتمسكون بها خوفا من ضياعها في متاهات التقدم و الحضارة .

8 - كان لأهالي الولاية عاداتهم الغذائية الخاصة بهم، والتي تحددت نتيجة العوامل الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية مما انعكس بالتالي على طبيعة غذائهم اليومي الذي نجده يتنوع من منطقة إلى أخرى بل من بلد الى اخر، لذلك اشتهرت الولاية بأكلاتها الخاصة، والتي ما تزال تميز مجمعتهم الى وقتنا الحالي، ولعل أشهرها الكسكسي والبازين .

9 - تعرضت الولاية خلال هذه الحقبة، شانها شان العديد من الولايات العربية، إلى جملة من الأوبئة مثل الطاعون الذي كان ينتشر بعد المجاعات ولأكثر من مرة والذي كانت خسارة الولاية البشرية كبيرة جدا ومرد ذلك لعدم معرفة سبب المرض وعدم وجود علاج فعال له حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد أن تعرضت الولاية لأكثر من إصابة بهذا المرض او الوباء الذي لم يكن المرض الوحيد، فهناك الكوليرا الذي اجتاح الولاية مرتين خلال هذه الحقبة، وكان للدولة العثمانية آثرا في السيطرة على الوباء من خلال إنشاءها المحاجر الصحية للحيلولة دون انتشار الوباء الذي حصد ارواح كبيرة من الاهالي .

10 - لم تكن الأمراض و الأوبئة وحدها من كانت وراء تناقص اعداد الاهالي، بل كان هناك عامل اخر وهو المجاعة التي كانت تجتاح اراضي الولاية والولايات العربية الاخرى جراء قلة تساقط الامطار التي توثر على تناقص المحاصيل الزراعية مما يعني بالتالي قلة الغذاء وحدوث المجاعة .

11 - كان للدولة العثمانية الممثلة بالولاة دورا في السيطرة على المجاعة من خلال تقديم المعونات المالية للأهالي وفتح المطاعم الشعبية التي تقدم الوجبات الغذائية المجانية للأهالي .

12 - تنوعت المستشفيات الموجدة في الولاية فهناك العمومية والعسكرية والاجنبية، ولكن يؤخذ عليها قلة عددها الذي لا يتناسب مع اعداد الاهالي هذا من جانب، ومن جانب أخر تركزها في مركز مدينة طرابلس فقط، مما يعني حرمان المناطق الريفية والصحراوية من وجود المتشفيات مما شكل نقصا واضحا في أمداد كل الأهالي بالخدمات الصحية .

13 - لم يكن في الولاية سوى خمس صيدليات صغيرة نسبية، مما يدل على قلة التعامل مع الصيدليات من قبل الأهالي وذلك ناتج من تخوفهم من استخدام الأدوية الكيميائية خاصة وأنهم اعتادوا العلاج بالطب الشعبي والأعشاب .

14 - سعت عدد من الدول الأوربية ذات المطامع الاستعمارية مثل بريطانيا وألمانيا وايطاليا وفرنسا الى الاهتمام بالجانب الصحي للولاية من خلال أنشاء مستوصفات طبية تقدم خدماتها العلاجية والدوائية وبالمجان لأهالي الولاية، سعيا منها إلى مد نفوذها الاستعماري في الولاية فكان لإيطاليا قصب السبق في هذا المجال، فقد نجحت ومن حلال المساومات الدولية الى احتلال الولاية عام 1911 بعد ان مهدت الطريق لذلك من خلال انجازها عدد من المشاريع الاقتصادية والاجتماعية، فكان الجانب الصحي واحدا من هذه المشاريع .

15 – برزت طرابلس الغرب كمنطقة اقتصادية هامة في منطقة الشمال الإفريقي ، حيث أنها تتمتع بموقع جغرافي و استراتيجي هام ساعدها أن تلعب دورا بارزا في التجارة عبر سواحلها .

16 – تعتبر طرابلس البوابة الشمالية للقارة الإفريقية و حلقة وصل بين الشرق و الغرب و الشمال فكان لها تأثير و ربط الصلات بين الشمال و الجنوب في كافة جوانب الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الدينية و الثقافية .

17 – غطت التجارة الداخلية كافة المتطلبات و السلع الاستهلاكية اليومية للسكان ، عن طريق عمليات المقايضة و البيع و الشراء التي كانت تتم داخل الأسواق و المدن و الواحات من يومية و أسبوعية و موسمية في المدن و الأقاليم الليبية .

18 – مثلت التجارة الخارجية أهمية خاصة للأتراك و القرمانليين اللذين سيطروا على المدن الليبية ، فكانت القوافل التجارية التي تعبر الطرق التجارية و تحمل الرقيق و العاج و الذهب و الجلود و ريش النعام عن انتعاش اقتصادها و أسواقها .

19 – على الرغم من تحريم تجارة العبيد إلا أنها بقيت مزدهرة في طرابلس الغرب ، و كان القسم الأكبر و الأول يجري في الخفاء . كما أن الدولة العثمانية لم تكن حازمة في تحريم هذه التجارة التي تحقق أرباحا زهيدة للمشتغلين فيها .

20 – عرفت طرابلس الغرب أعدادا من الجاليات الأجنبية التي كان لها الهدف الأساسي من وجودها هدف استعماري ، ينقلون الاخبار الاقتصادية و الاجتماعية لتسهيل عملية الاحتلال خلال القرن التاسع عشر ميلادي .

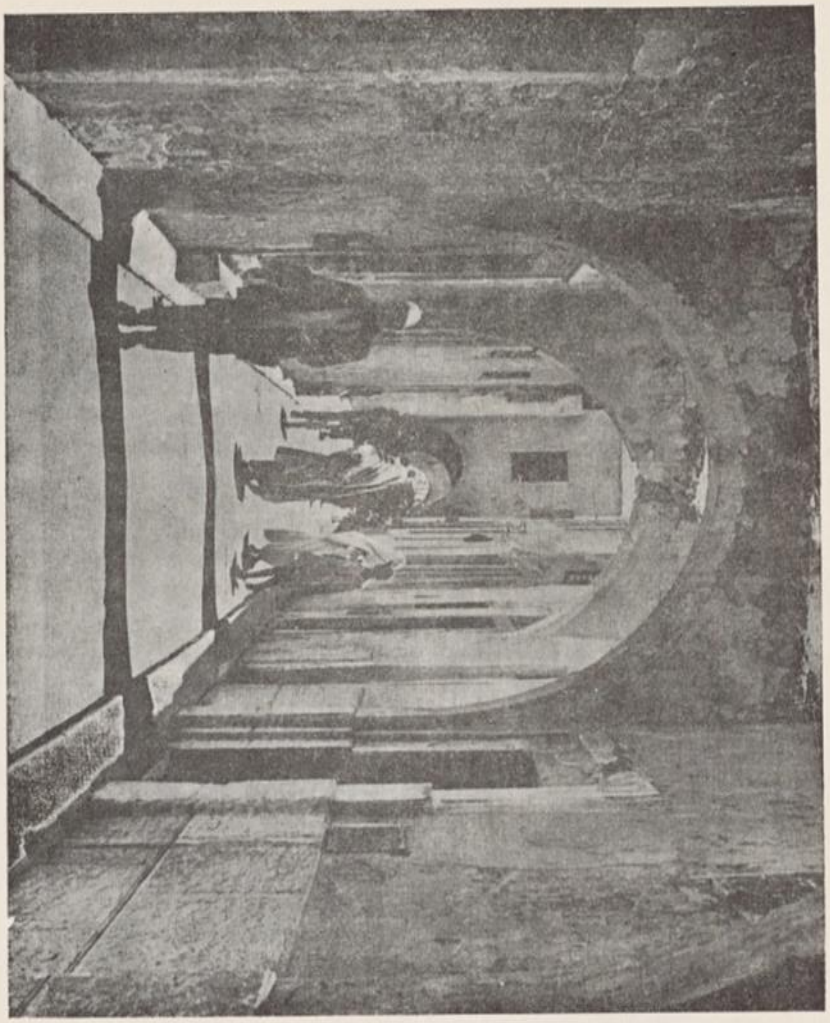
21 – نشوء طبقة مثقفة من الليبيين ساهمت في رقي الحياة الاقتصادية و الثقافية .

22 – دعم الأهالي التعليم ماديا ، إلا أنه أهمل من طرف الولاة العثمانيين .

23 - كان التعليم مرتبط بعلوم القران و السنة النبوية و العلوم اللغوية .

24 – اهتم الليبيون بالعمران و الزخرفة و تزين المساجد و المنازل ... إلخ ، و كان يتضح في عمرانهم الاتقان و الدقة و الجمال .

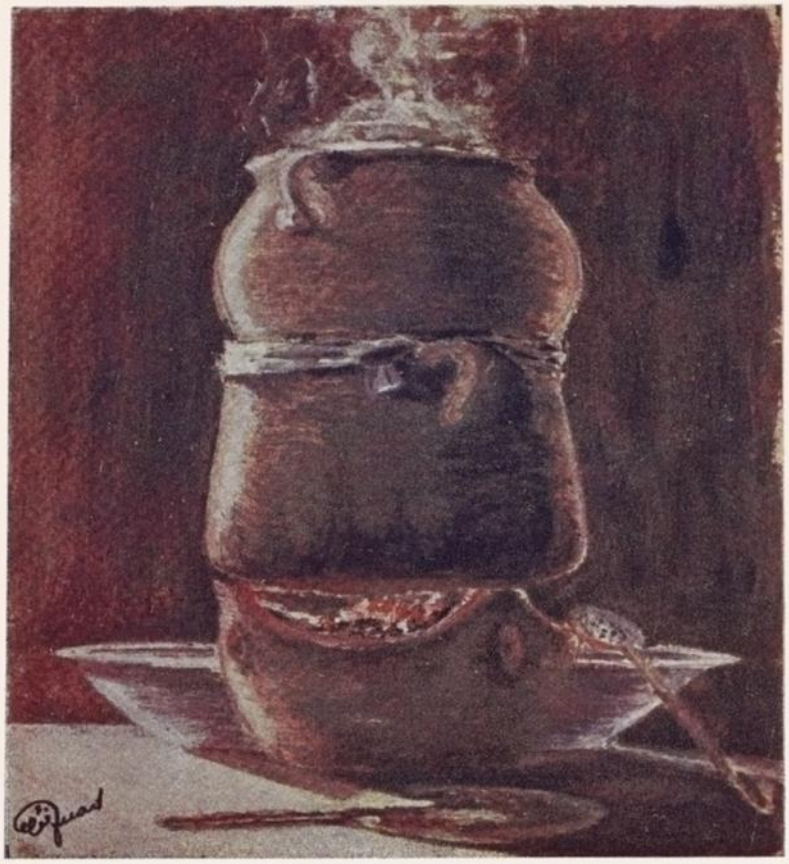
الملاحق



طرابلس — منظر فى المدينة القديمة

[تصوير خاص]

انظر راسم راشدي ، طرابلس الغرب في الماضي و الحاضر ، مصدر سابق ، ص 125 .



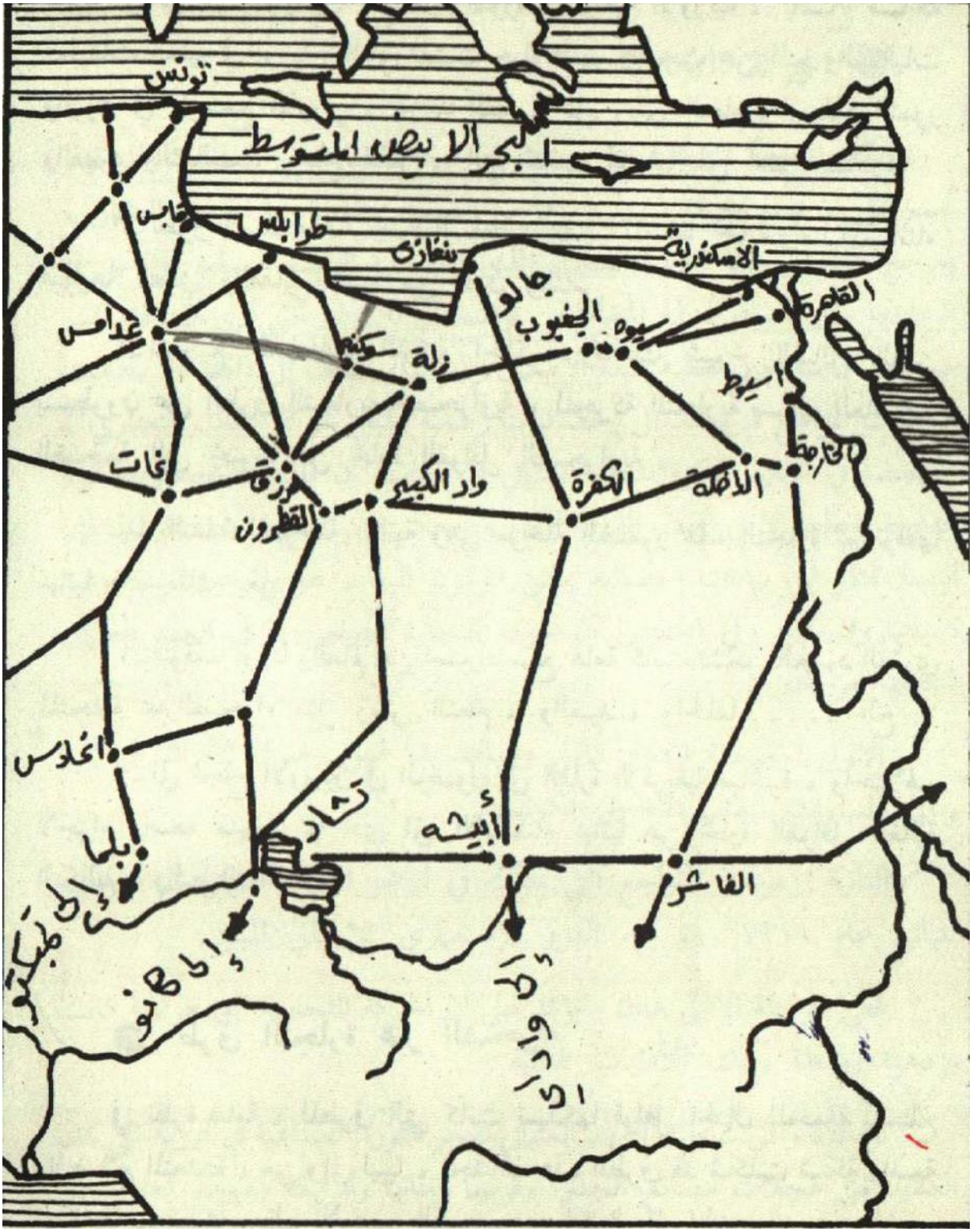
حلة الكسكسى

بريشة الفنان الطرابلسى
السيد فؤاد الكعبازى
المهندس

انظر راسم راشدي ، مصدر سابق ، ص 6 .



انظر تيسير بن موسى ، ص 177 .



انظر تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 160 .

قائمة المصادر
و المراجع

قائمة المصادر :

- الحاج عبد السلام أدهم، وثائق تاريخ ليبيا الحديث ، منشورات جامعة بنغازي ، وثيقة رقم (93) .

- عبد الله محمد بن خليل ابن غلبون الطرابلسي ، التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخيار ، ت : الطاهر أحمد الزاوي ، دار المدار الإسلامي ، ط 2 ، 2004 .

- اتوري ،روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ترجمة : خليفة محمد التبسي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1974 .

- أحمد النائب الأنصاري ، نفحات النسرين و الريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ، تق : محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر و التوزيع ، ليبيا .

- أحمد بك النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس الغرب – ليبيا .

- إفالد ، بانزة ، طرابلس مطلع القرن العشرين ، ت : د . عماد الدين غانم ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، 1997 .

- العياشي ، ماء الموائد ، الإسكندرية .

- توللي ، ريتشارد ، عشر سنوات في بلاط طرابلس ، ترجمة عبد الجليل الطاهر ، دار ليبيا ، بنغازي .

- حسن الفقيه حسن ،اليوميات الليبية ، تح : محمد الاسطى وعمار جحيدر ، منشورات مركز الجهاد الليبين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1984 .

- خليفة محمد ، التليسي ، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب و الأجانب ، الدار العربية للكتاب ، ط 2 ، 1997 .

- د . البيرتودنتي دي بيراينو ، قصص طبية من ليبيا ، تر : عبد الكريم عمر أبو شويرب ، الجمعية الليبية لتاريخ العلوم الطبية ، بنغاري – ليبيا ، ط 1 ، 2006 .

- د . غاسبري ميسانا ، المعمار الإسلامي في ليبيا ، ت : علي الصادق حسنين ، 1973 .

- راسم ، رشدي ، طرابلس الغرب في الماضي و الحاضر ، طرابلس (ليبيا) ، ط 2 ، 1953 .

- رود لفوميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، ت : طه فوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس – ليبيا .

- سورة البقرة ، اية 238 .

- شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، تر : محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط 2 ، 1988 .

- عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج 6 ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 2000 .

- عبد القادر جامي ، من طرابلس الغرب الى الصحراء الكبرى ، تر، محمد الاسطى ، دار المصراتي ، طرابلس ، 1973 .

- علي مصطفى المصراتي ، المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية ، دراسة في التراث الشعبي ، ط1 ، يوليو 1962 .

- فرانشسكو ، كورو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، تعريب و تقديم : خليفة محمد التليسي ، طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، ط 1 ، 1971 م .

- كاكيا ، أنتوني جوزيف ، ليبيا خلال العهد العثماني الثاني 1835 – 1911 م ، تعريب و تقديم : يوسف حسن العسلى ، طَ، طرابلس : دار الفرجاني ، 1975 م .

- ليون ، جون فرنسيس ، من طرابلس الى فزان 1818 – 1820 م ، ترجمة مصطفى جودة ، طرابلس ، (تونس : الدار العربية للكتاب ، 1976 م) .

- محمد بن عثمان ، الحشائشي التونسي ، رحلة الحشائشي الى ليبيا سنة 1895 " جلاء الكرب عن طرابلس الغرب " ، تقديم : علي مصطفى المصراتي ، دار لبنان ، بيروت ، 1965 ، ط 1 .

- محمود ، شاكر ، ليبية ، الدار العلمية ، ط 1 (1392 هـ - 1972 م) .

قائمة المراجع :

- د . رجب نصير الأبيض ، طرابلس الغرب في كتابات الرحالة خلال القرن 19 م ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ط 1 ، 2009 .

- أبو حامد ، الغزالي ، احياد علوم الدين ، الجزء 2 ، دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي .

- إسماعيل ، كمالي ، سكان طرابلس الغرب ، تعريب وتعليق : حسن الهادي بن يونس ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .

- الحجاجي سالم علي ، ليبيا الجديدة ، ط 2 ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ، 1989 م .

- الشيخ رافت غنيمي ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، مطبعة دار الحقيقة ، بنغازي ، 1972 م .

- الطاهر أحمد الزاوي ، ولاة طرابلس " من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي " ، دار الفتح للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 1390 هـ - 1970 م .

- تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني" دراسة تاريخية اجتماعية " ، الدار العربية للكتاب ، 1988 .

- جوستاف لوبرن ، حضارة العرب ، ت : عادل زعيتر ، ط 3 .

- د . صلاح أحمد البهنسي ، طرابلس الغرب " دراسات في التراث المعماري و الفني " ، دار الأفاق العربية ، ط 1 ، 2004 م .

- د. خالد ، زيادة ، الصورة التقليدية للمجتمع المدني ، قراءة منهجية في سجلات محاكمة طرابلس الشرعية في القرن السابع عشر و بداية القرن الثامن عشر ، معهد العلوم الاجتماعية ، الفرع الثالث ، طرابلس 1983 .

- د. علي عبد اللطيف ، حميدة ، المجتمع و الدولة و الاستعمار ، " دراسة في الأصول الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية لحركات و سياسة التواطؤ و مقاومة الاستعمار 1830 – 1936 " ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1995 .

- د. نزيه كباره ، طرابلس في القرن العشرين ، جامعة المنار في طرابلس ، ط 1 ، 2012 م .

- ردولفو ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي ، تعريب طه فوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا .

- سعيد علي حامد ، المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بمدينة طرابلس ، 1978 م .

- علي حامد خليف الطيف ، المراكز التجارية الليبية وعلاقاتها مع ممالك السودان واثرها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري ، جمعية الدعوة الاسلامية ، طرابلس .

- علي فهمي خشيم ، الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية ، طرابلس – ليبيا ، ط 2 ، 2008 .

- علي مصطفى المصراتي ، أعلام من طرابلس ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع ، ط 4 ، 1986 م

- عمار ، جحيدر ، افاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث ، الدار العربية للكتاب ، 1991 .

- كامل علي مسعود الويبه ، الادارة العثمانية في طرابلس الغرب (1842 – 1911 م) ، 2005 .

- محمد سعيد ، القشاط ، الطوارق عرب الصحراء الكبرى ، الطبعة الثانية ، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء ، ليبيا ، 1989 .

- محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، تر : عبدالسلام ادهم محمد الاسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، 1970 م .

- مصطفى عبد الله بعيو ، دراسات من التاريخ اللوبي ، مطابع عابدين ، الاسكندرية ،1953 م .

- نعام محمد سالم شرف الدين ، تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي دراسة في مؤسسات المدينة التجارية 1711 _ 1835 م .

- نهدى صبحى الحمصى ، تاريخ طرابلس »- من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، دار الايمان ، طرابلس – لبنان، ط 1 ، ص 116 .

- وفاء كاظم ماضي الكندي ، الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب ، ط 1 ، دار الايام للنشر والتوزيع ، الاردن ، 2017 م .

قائمة المجلات و الحوليات :

- أ . م . د . وفاء كاضم ماضي الكندي ، قراءة في الأحوال الصحية و العادات الغذائية بمجتمع طرابلس الغرب (1835 – 1911) ، مجلة كلية التربية الأساسية / جامعة بابل ، العدد 13 ، أيلول 2013 م ، ص 674 .

- د . المدني سعيد عمر ، الاصلاحات الزراعية ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني 1858 _ 1911 قسم التاريخ ، كلية الاداب ، جامعة الجبل الغربي ، العدد الثامن .

- د . ناصر الدين سعيدوني ، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني ، جامعة الكويت ، قسم التريخ كلية الاداب ، مجلس النشر العلمي ، الرسالة 318 ، الحولية 31 ، 2010 م

- سالم عبد الله الفلاح ، الشاهي في حياتنا الاجتماعية ، مجلة التراث الشعبي ، السنة التاسعة عشر، العددان 3 و 4 ، طرابلس ، 1999 .

- صالح بن دردف ، دور الشاي أو الشاهي في حياتنا الاجتماعية ، مجلية التراث الشعبي ، السنة الثامنة عشر، العددان 3 و 4 ، طرابلس ، 1998 .

- محمد عمر مروان ، سجلات محكمة طرابلس الشرعية (1174 هـ / 1271 هـ) - (1760 م / 1854 م) ، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية ، كلية الاداب ، جامعة طرابلس.

المذكرات :

- ابو القاسم السنوسي قنه محمد ، مذكرة دكتوراه نواحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835 – 1911 م ، كلية الاداب قسم التاريخ السودان .

المعاجم :

- الزاوي الطاهر احمد ، معجم البلدان اليبية ، ط 1 ، مكتبة النور ، طرابلس ،1968 م.

- المنجد الأبجدي ، دار المشرق ، بيروت ، ط 1 ، 697 .

- سهيل ، صابان ، معجم موسوعي للمصطلحات العثمانية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض 1421 هـ / 2000 م ، ص 176.

الفهرس

الاهداء ----------
شكر وعرفان ----------
مقدمة ---------- ا
الفصل التمهيدي ---------- 04
المبحث الاول : الوضع الاجتماعي في طرابلس الغرب ---------- 08
المطلب الاول : التركيب الاجتماعي . ---------- 09
1 ـ السكان ---------- 09
2 ـ الطبقات الاجتماعية . ---------- 14
3 ـ المراة ---------- 18
4ـ اهل الذمة ---------- 20
المطلب الثاني : الاسرة في طرابلس الغرب ---------- 22
1 ـ التركيب الاسري ---------- 22
2 ـ حياة الناس اليومية ---------- 22
3ـ طباع اهالي طرابلس ---------- 23
5ـ العادات والتقاليد ---------- 26
المطلب الثالث :الحالة الصحية في المجتمع ---------- 41
1 ـ المستشفيات ---------- 42
2 ـ الصيدليات ---------- 43
المبحث الثاني : الوضع الاقتصادي في طرابلس الغرب .---------- 44
المطلب الاول : التجارة ---------- 45
1 الطرق التجارية المتجهة من الشمال الى الجنوب وبالعكس . ---------- 45
2 الطرق المتجهة من الغرب الشرق . ---------- 46
3 الطريق البحري . ---------- 47
4 ـ تنظيم القوافل التجارية ومراكز التجارة . ---------- 48

5 - الاسواق والسلع المعتمدة ---------- --- 50
المطلب الثاني : الزراعة ---------- 57
1 - وضع الزراعة وملكية الارض . ---------- 57
2 - الاراضي الزراعية ونظم الزراعة . ---------- 59
3 - نظام الجباية . ---------- 60
المطلب الثالث : الصناعة . ---------- 63
1 - صناعة النسيج ---------- 63
2 - صناعة الحصر ---------- 63
3- صناعة الصياغة . ---------- 64
4- مصنوعات متنوعة . ---------- 64
المبحث الثالث : الجانب الثقافي و العمراني ---------- 66
المطلب الاول : العلوم الدينية واللغوية ---------- 67
1 - العلوم الدينية ---------- 67
2 - العلوم اللغوية ---------- 70
المطلب الثاني : التعليم وعلم التاريخ والحركة الادبية ---------- 72
1 - المؤسسات التعليمية ---------- 72
2 - علم التاريخ والعلماء ---------- 74
3 الحركة الادبية ---------- 75
المطلب الثالث : الفن المعماري ---------- 79
1 - العمارة الدينية بطرابلس ---------- 97
2 _ العمارة المدنية بطرابلس ---------- 82
خاتمة . ---------- 87
الملاحق ---------- 91
قائمة المصادر والمراجع ---------- 95
فهرس الموضوعات ---------- 101